أن الانبجاس يخرج من شيء ضيق، والانفجار من شيء واسع.

قال الراغب: «يقال: بجس الماء وانبجس: انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع، ولذلك قال ﷻ: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقال في موضع آخر: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة]»[(١)].

وعبَّر عن هذا الفرق ابن عطية، فقال: «الانبجاس: أخف من الانفجار»[(٢)].

وقال بعضهم في الفرق: الانبجاس أول خروج الماء، والانفجار سيلانه وقوته.

قال الألوسي: «قيل بينهما فرق، فالانبجاس: أول خروج الماء؛ والانفجار: اتساعه وكثرته»[(٣)].

وقال البغوي: «قال أبو عمرو بن العلاء: انبجست؛ أي: عَرِقَت، وانفجرت؛ أي: سالت»[(٤)].

فالجمع بين الآيتين:

أن الماء ابتدأ بالخروج قليلاً، ثم صار كثيراً[(٥)].

وعلى هذا فالانفجار أعم من الانبجاس، فكل انفجار انبجاس وليس كل انبجاس انفجاراً، ولذا تكررت مادة فَجَّر في القرآن؛ وهي شاملة لكلِّ المعاني الأصلية التي قيلت في الانبجاس والانفجار على ما ذكره ابن فارس في أصل المادة لكلا اللفظين[(٦)].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٦٩.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٥.
(٣) روح المعاني ١/ ٢٧١.
(٤) تفسير البغوي ١/ ١٠٠.
(٥) تفسير الرازي ١٥/ ٢٩.
(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ١٩٩، ٤/ ٤٧٥.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف].

وقوله سبحانه: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر].

ولم يقل: بجَّسنا، فللَّه الحكمة البالغة العالية.

وبناءً على ما سبق من فروق بين لفظ انبجس وانفجر.

فعند التأمل ـ أكثر ـ في آية سورة الأعراف نرى أن طلب السقيا من بني إسرائيل فيها موضع ابتداء؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقد جاء في الجواب ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ الدالُّ على ابتداء خروج الماء وخفته.

وفي سورة البقرة كان الطلب من موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]، وهو موضع كمالِ السؤال، فجاء الجواب بلفظ: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ الدال على الغزارة والسيلان؛ فناسب بداية الطلب بداية السقيا، وناسب تمام الطلب تمام السقيا، والله أعلم.

ويستنبط من هذه الآية التي انفردت بلفظ الانبجاس:

١ ـ أن استعمال لفظ في موضع من القرآن لا يمكن أن يُستَعاض عنه بغيره ألبتَّة.

٢ ـ عنايةُ القرآن بعدم التكرار لكل الألفاظ من العناية بما يناسب المقام.

٣ ـ أن لطائف القرآن لا تنتهي، وكلُّ من تدبر علم أنه بحاجة إلى زيادة تدبِّر.

٤ ـ أن استعمال اللفظ في موضعٍ وغيرُه في موضع آخر معَ أن السياقَ متقاربٌ إشارة إلى أن كل آية تتحدث عن جانب من جوانب الحدث بلا تعارض، والله أعلم.

٥ ـ عناية القرآن بالتنويع بين الألفاظ مع عدم التعارض؛ وفيها دلالة على سعة اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وعلى ثراء ألفاظها، ودقة معانيها.

المثال الثالث:

ـ كلمة [**سَكَتَ**] لم ترد في القرآن إلا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف].

قال ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾؛ أي: سكن، ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾؛ أي: غضبه على قومه، ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ أي: التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيرةً لله وغضباً له»(١).

معنى [سَكَتَ] في اللغة: خلاف نَطَقَ، ويأتي بمعنى سكن، وهو المراد في الآية(٢).

قال ابن فارس: «سكت: السين والكاف والتاء يدلُّ على خِلاف الكلام»(٣).

وقال مكي: «والمعنى: ولما سكن عن موسى عليه السلام غَضَبُهُ.

يقال: سَكَتَ سَكْتاً، إذا سَكَنَ، وسَكَتَ سُكُوتاً وسُكْتاً، إِذَا قَطَعَ الكَلَامَ»(٤).

وقال الفراء: «﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، والغضب لا يسكت، إنما يسكت صاحبه، وإنما معناه: سكن»(٥).

ومثله قال النحاس(٦)، وابن قتيبة(٧)، وغيرهم(٨).

وقال الراغب: «السُّكُوتُ مختصّ بترك الكلام، ولمّا كان السّكوت ضرباً من السّكون استعير له في قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾»(٩).

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٨.
(٢) ينظر: الصحاح ٢/ ٢٧٥، لسان العرب ٢/ ٤٣.
(٣) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٨٩، وينظر: لسان العرب ٢/ ٤٣.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ ٢٥٧٦.
(٥) معاني القرآن ٢/ ١٥٦.
(٦) معاني القرآن ٣/ ٨٥.
(٧) غريب القرآن ١٧٣.
(٨) ينظر: ياقوتة الصراط ٢٣٢.
(٩) مفردات ألفاظ القرآن ٤١٦.

وعلى هذا فالأصل في السكوت قطع الكلام، ويأتي بمعنى السكون، فاختيار اللفظ هنا على الأصل ولكن لِمَ لَمْ يُقل: سكَن؟ فالغضب لا يسكت وإنما يسكُن، وقد ذُكِر السكن في القرآن كثيراً[١]، وعُدل عنه في هذا الموضع إلى لفظ: [سَكَتَ] الذي لم يرد في غير هذا الموضع، فقد أفاد معاني لا يؤديها غيره، ومنها:

١ ـ أفادت أن الغضب إذا تطور وتمكن في النفس صار كالإنسان الآمر الناهي، ولذلك قال ولما سكت الغضب، كأنه يأمره بصوت ثم سكت[٢].

قال ابن عاشور: «وحسن هذا التشبيه أن الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت»[٣].

٢ ـ أن من معاني السكوت اللغوية: السكون، وهذا هو تفسير هذه الآية عند أهل العربية[٤]، والجامع بين اللفظين: الكف عن الشيء.

٣ ـ أن السكون أعم من السكوت فكل ما هدأ فقد سكن؛ كالريح والمطر والناس والبهائم، وفي الحركة والصوت.

قال الراغب الأصفهاني: «السكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويُستَعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا»[٥].

٤ ـ في اختيار لفظ السكوت ـ والله أعلم ـ أن الغضب ما زال بالكلية عن موسى وإنما خفّ وقلّ، فلم يأت بلفظ يدل على الزوال مثل: [ذَهَبَ] كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ

(١) قال ابن فارس: «السين والكاف والنون أصلٌ واحد مطّرد، يدلُّ على خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سَكَن الشّيءُ يسكُن سكوناً فهو ساكن» معجم مقاييس اللغة ٣/ ٨٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/ ١٥٤.

(٣) التحرير والتنوير ٨/ ٣٠٣.

(٤) ينظر: العين ٤٣٥، معجم مقاييس اللغة ٣/ ٨٩، لسان العرب ٢/ ٤٣.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ٤٨٦.

﴿٧٤﴾﴾ [هود]؛ لأنه هنا ـ والله أعلم ـ زال الروع بالكلية عن إبراهيم عليه السلام وجاءته البشرى فلم يعُد للخوف في قلبه أيُّ أثر، أما موسى عليه السلام فقد قل الغضب؛ لأن توبة القوم لم يتأكد بعدُ أنها خالصة[1]، ولم يجزم بأنها من الجميع، ولذا قال في الآية بعدها: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

إن هذه الكلمات التي لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة تحتاج إلى جمع ودراسة، وبيان اللطائف المستفادة منها، ومن الكلمات الأفراد في القرآن على سبيل المثال:

١ ـ [الرَطْب] في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

٢ ـ [الخبز] في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف].

٣ ـ [الجو] في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل].

٤ ـ [الرُّطَب] في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].

٥ ـ [الساحل] في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

٦ ـ [جَامِدَةً] في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل].

---

(١) ينظر: روح المعاني ٩/ ٧١.

٧ ـ [الشعوب] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

٨ ـ [الْمَجَالِس] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

٩ ـ [الزنجبيل] في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان].

١٠ ـ [السوط] في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر].

١١ ـ [أذَاعَ] في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء].

١٢ ـ [خَلَع] في قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه].

ومما يستنبط من هذه العادة:

أ ـ سعة لغة القرآن وشموله على الثروة اللغوية الكبيرة من الكلمات العربية.

ب ـ تسمية بعض السور بالكلمة التي لم ترد إلا مرة واحدة تمييزاً لها عن غيرها، ومن السور التي سميت بالكلمة التي لم ترد في القرآن إلا فيها:

سورة الروم، وسورة الأحقاف، وسورة الجمعة، وسورة التغابن، وسورة المزمل، وسورة المدثر، وسورة المطففين، وسورة التين، وسورة الفيل، وسورة قريش، وسورة الماعون، وسورة المسد.

ج ـ بعض الكلمات الغريبة التي تذكر وحيدة في القرآن فلِسِرٍّ يُناسب سياق الآية، وهذا من إعجاز القرآن الأسلوبي؛ لأن اختيار اللفظ المناسب للسياق هو عادة القرآن.

وصدق الله القائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

المطلب الثالث

استعمال الألفاظ اللائقة بالقرآن

عادة القرآن اختيار الألفاظ اللائقة التي يقبلها الذوق السليم، وتدل على المعنى المراد بكل وضوح، والتكنِيَة عن المعاني التي يُستحيَى منها دون التصريح بها أبلغ عند العرب، ويعدُّونه من البراعَة والبلاغة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرفث الجماعُ، والمباشرة الجماع، والملامسة الجماع، ولكن الله كريم يَكني»(١).

قال مكي: «وهو قول جميع المفسرين»(٢).

وقال مجاهد(٣): «﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، قال: وأسْتَاهَهم، ولكن الله كريم يَكْنِي»(٤).

قال الزركشي: «ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس والملامسة والرفث، والدخول، والنكاح، ونحوهن، قال تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين، وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، إذ لا يخلو الجماع من الملامسة»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري ٣/ ٤٨٧، ٣/ ٥٠٤، ٨/ ٣٩١، وينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٣٥، تفسير القرطبي ٥/ ١٠٢، تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٤.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ٦١٥.

(٣) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي شيخ القراء والمفسرين، مات سنة (١٠٢هـ)، له ترجمة في: الجرح والتعديل ٨/ ٣١٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ١٦، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ ٢٨٤٨، الكشاف ٢/ ٢١٧.

(٥) البرهان ٢/ ٣٠٣.

فكل كلمات القرآن بلا استثناء هي أعلى الألفاظ وأرفع الأساليب، فلا نجد في القرآن كلمةً لا تليق، ولا كلمةً تخدش الحياء، ولا نرى عبارةً لا تتَّسم بالأدب.

وفي هذه العادة:

١ ـ مراعاة ذوقِ السامع والقارئ فيما يُستحيى من ذكره.

٢ ـ وتربية المؤمنين على الأدب، وتعليمهم الخلق، والسمو بنفوسهم وعقولهم إلى الأفق العالي، والمستوى الرفيع.

٣ ـ وفيها أدب الخطاب والحوار، وأساليب الإقناع المناسبة للمعارضين.

قال الشاطبي عن القرآن: «أتى فيه الكناية في الأمور التي يُستحيى من التصريح بها، كما كنى عن الجماع باللباس والمباشرة، وعن قضاء الحاجة بالمجيء من الغائط، وكما قال في نحوه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥][(١)]؛ فاستقر ذلك أدباً لنا استنبطناه من هذه المواضع، وإنما دلالتها على هذه المعاني بحكم التَّبَع لا بالأصل»[(٢)].

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أصل اللباس: الثياب، وفيه دلالة على المخالطة والمداخلة[(٣)]، ومن ثَمَّ سُمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً، لانضمام الجسد وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب[(٤)].

قال البغوي: «قيل: سُمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب

---

(١) أي: ويلزم قضاء الحاجة التي لا تليق بالإلٰه، ينظر: الهداية ٣/ ١٨١٦.
(٢) الموافقات ٢/ ١٦٥.
(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٠.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٤٨٩، تفسير القرطبي ٢/ ٣١٦.

الذي يلبسه»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

فلفظ (أذى) لفظ جامع لأشياء تؤذي لما فيه من القذارة والنتن ومخرجه سبيل البول، واختيار القرآن لهذه اللفظة دل على المراد مع مراعاة الذوق وإفادة المعنى[٢].

ومن هذه العادة يستنبط أنه من الأدبِ تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يُحتاج فيها إلى ذِكْر ما يستحيى من ذِكْرِه.

ـ وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة].

في هذه الآية تَرْك ما يَفحُش ذِكرُه على السمع، وهي كنايةٌ وتربية على حسن الكلام.

قال الزمخشري: «﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم»[٣].

وقال أبو حيان: «﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ الإتيان كناية عن الوطء»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

عبَّر عن الجماع بالسر[٥].

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٢٠٧.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢٨٥.
(٣) الكشاف ١/ ٢٩٤.
(٤) البحر المحيط ٢/ ١٨٠، وينظر: تفسير أبي السعود ١/ ٢٢٣.
(٥) ينظر: تفسير السمرقندي ١/ ١٨١، البرهان ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، وذهب جماعة من السلف إلى أن المراد: لا توافقوهن بالمواعدة والتوثق وأخذ العهود في استسرار =

قال ابن قتيبة: «﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ أي: نكاحاً؛ لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر، فاستعير له السرّ»(١).

وقال الطبري: «ولكن حرم عليكم أن تواعدوهن جماعاً في عددهن»(٢).

وقال أبو حيان: «﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] كنى بالسر عن النكاح، وهي من أبلغ الكنايات»(٣).

وبهذا تظهر دقة اختيار القرآن للألفاظ؛ من خلال كونها تحمل المعنى المراد وافياً، مع جمالها وقبول الذوق لها، وفهم المقصود منها.

ـ وقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣].

في هذه الآية سمى الله تعالى قضاء الحاجة مجيئاً من الغائط، والوطء لمساً، فأتى بالكناية في الأمور التي يستحيى من التصريح بها.

قال الفراء: «﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ كناية عن خلوة الرجل إذا أراد الحاجة»(٤).

وقال أبو السعود: «﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث؛ لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه

= منكم، ينظر: النكت والعيون ١/ ٣٠٤، ونسبه ابن عطية للجمهور، وقال الطبري: «وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل من قال: [السر] في هذا الموضع الزنا. وذلك أن العرب تسمي الجماع وغشيان الرجل المرأة [سراً]؛ لأن ذلك مما يكون بين الرجال والنساء في خفاء غير ظاهر مطلع عليه، فيسمى لخفائه [سرا]» تفسير الطبري ٥/ ١١٠، وقال ابن عطية: «هكذا جاءت عبارة هؤلاء في تفسير السر، وفي ذلك عندي نظر، وذلك أن السر في اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه» المحرر الوجيز ١/ ٣٠٦.

(١) تأويل مشكل القرآن ٩١.
(٢) تفسير الطبري ٥/ ١١٣.
(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٤٠.
(٤) معاني القرآن ١/ ٣٠٣، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٤، زاد المسير ١/ ٢٧٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٤.

ليواري شخصه عن أعين الناس، وإسناد المجيء منه إلى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيى منه أو يستهجن التصريح به، وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه من قوله ﷻ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ على التصريح بالجماع»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

قال مكي: «فنبه بأكل الطعام على عاقبته»[٢].

وقال ابن الجوزي في ختام الآية: «وقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥] من ألطف ما يكون من الكناية»[٣].

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلٰهين»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

قوله: ﴿تَغَشَّىٰهَا﴾، كناية عن الجماع[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣].

فالمراد: ما تريده المرأة من الرجل[٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ١٨٠.
(٢) الهداية ٣/ ١٨١٦.
(٣) زاد المسير ٢/ ٢٤٨.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٩.
(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ ٢٦٦٩، المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧، التسهيل ١/ ٤٣٣، تفسير أبي السعود ٣/ ٣٠٣.
(٦) ينظر: تفسير الطبري ١٦/ ٢٤، تفسير البغوي ٤/ ٢٢٧، زاد المسير ٤/ ٢٠١، التسهيل ٢/ ١٤.

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التَّحريم].

فمن خلال هذه الآيات بيان حمل مريم عليها السلام بالمسيح بنفخ جبريل في جيب درعها، ولا يمكن التعبير إلا بمثل هذه الألفاظ الجميلة.

قال الطبري: «وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من جبرئيل، وهو الروح، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

وقال ابن كثير: «فإن الله بعثه ـ أي: جبريل ـ إليها فتمثل لها في صورة بشر سَوي، وأمَرَه الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام»(٢).

ومما يُستفاد من هذه العادة:

ـ تنزيه القرآن عن الكلمات الفاحشة.

ـ تربية المؤمنين على الأدب وحسن الخطاب.

ـ وقوف القرآن على مواطن العبرة، وترك ما عداها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]، وهذا خلاف كلام أهل الفحش، والروايات الهابطة، الذين يبسطون مشاهد السوء، ويطوُون العبر.

فما أجمل اختيار القرآن للألفاظ اللائقة والمناسبة للذوق مع دلالتها على المراد في جميع الآيات، واختيار المواضع التي كُني فيها عن ما يُستحيى من التصريح بذكره يكون المثال أوضح وأقرب، كما أنها المواضع التي نص المفسرون فيها على هذه العادة(٣).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ١٧٣.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٣٣٨، تفسير البغوي ٥/ ٣٥٣.

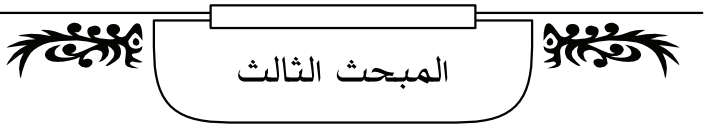

نيابة بعض الألفاظ عن بعض

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: وضع الماضي موضع المستقبل.**
- **المطلب الثاني: تذكير المؤنث.**
- **المطلب الثالث: استعمال لفظين مختلفين في معنى واحد.**

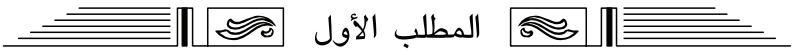

وضع الماضي موضع المستقبل

إن المتأمل لكلام الله جل وعلا يرى فيه من الخصائص والمزايا ما لا يجده في غيره من الكلام.

ومن ذلك: مخالفة ظاهر اللفظ لمراعاة المعنى.

والحقُّ أنها الدقة في وضع الألفاظ مواضِعَهَا حسَبَ السياق المناسب لها؛ فيُراعَى المعنى بالدرجة الأولى، وتكون الألفاظُ وسيلةً لإيصال المعنى بأقرب صورة.

وفي هذا المطلب أمثلةٌ لاستعمال الفعل الماضي موضع الفعل المستقبل، نظراً إلى أن ما هو متحققُ الوقوعِ مستقبلاً فهو بحكم الواقع فعلاً، دل عليه السياق وكلام المفسرين، والبلاغيين، وهو ما يسمى: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

وهذا التعويض بالماضي عن المستقبل، من عادة العرب عند تحقق الوقوع.

فمَن رأيناهُ يرمي نفسَه من شاهق على صخرة لينتحر؛ قُلنا عنه بصيغة

الماضي: هذا قَتَل نفسه، لعدم وجود الشك بأنه سيتحطم ويهْلَكُ عند وصوله الصخرةَ التي رمى نفسه عليها.

وكذا لو كان الصديقُ بالطريق إليّ، وقد قرب وتحقق وصوله، يقول بصيغة الماضي: وصَلْت إليك.

قال ابن فارس: «باب التعويض: من سُنن العرب التَّعْوِيض وهو إقامة الكلمة مقامَ الكلمة، فيقيمون الفعلَ الماضي مقامَ الراهن؛ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل]، المعنى: أم أنت من الكاذبين، ومنه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ﴾ [البقرة]، بمعنى: أنتَ عليها»[(١)].

قال الشنقيطي: «والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه، كثيرٌ في القرآن»[(٢)].

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل].

كان الكفار يستعجلون ما وُعِدوا به من قيام الساعة حيث قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر]، ويقولون: ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، استهزاءً وتكذيباً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [النحل: ١][(٣)]، الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه[(٤)].

ومعنى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: سيأتي؛ لأنه قال بعدها: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾، وعبَّر بالماضي عن المستقبل لتأكد وقوعه.

قال مكي: «إنما جاء كذلك لأنهم استبعدوا ما وعدهم الله من عذاب، فأتى بالماضي في موضع المستقبل لقربه من الإتيان، ولصدق المخبر به»[(٥)].

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ٥٩.
(٢) أضواء البيان ٢/ ٣٢٦.
(٣) ذكره الواحدي عن ابن عباس ﷺ في أسباب النزول ٢٢٨، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير، والبغوي في تفسيره ٤/ ٧، ولم أجده مسنداً عن ابن عباس، وأخرجه الطبري عن ابن جريج بمعناه ١٧/ ١٦٢.
(٤) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٣٠.
(٥) الهداية ٦/ ٣٩٤٥.

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها، معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]»(١).

وقال السيوطي: «إطلاق الماضي على المستقبل لتحقق وقوعه نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الساعة بدليل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾»(٢).

وقال الشنقيطي: «﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: قرب وقت إتيان القيامة، وعبَّر بصيغة الماضي؛ تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ [النمل].

قوله: ﴿فَفَزِعَ﴾ ماضٍ أريد به ما يقع يوم النفخ وهو في المستقبل، والمراد ـ والله أعلم ـ الإشارة إلى القرب وتحقق الوقوع.

قال الزركشي: «﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾، لا يمكن أن يراد به المضيّ؛ لمنافاة ﴿يُنفَخُ﴾ الذي هو مستقبل في الواقع، وفائدة التعبير عنه بالماضي: الإشارة إلى استحضار التحقق، وإنه من شأنه لتحققه أن يعبر عنه بالماضي وإن لم يرد معناه»(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزُّمر].

فقوله: ﴿وَنُفِخَ...﴾ ﴿ثُمَّ نُفِخَ﴾ أفعال ماضية، وهي لم تحدث بعد.

قال الطبري: «ونَفخ إسرافيل في القرن»(٥).

وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزُّمر]

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٥.
(٢) الإتقان ٢/ ٨٣.
(٣) أضواء البيان ٢/ ٣٢٦.
(٤) البرهان ٣/ ٣٧٣.
(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٩.

بين ما يكون بعد قبض الأرض وطي السماء وهو النفخ في الصور»[١].

وبعدها قال سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزُّمر].

فيها ألفاظ: **فَصَعِقَ، وَأَشْرَقَتِ، وَوُضِعَ، وَجِيءَ، وَقُضِيَ**، كلها بصيغة الماضي ولكنها لم تقع بعد، بل هي في المستقبل بعد النفخ في الصور، وهذا التعبير لتحقق الوقوع، وصدق المُخبِر.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم].

هذا حدث حقيقي في يوم البعث، ولذلك فالتعبير بالماضي في قوله: ﴿وَبَرَزُواْ﴾ دليل على تحقق الوقوع.

قال البغوي: «﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١]؛ أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعاً»[٢].

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لفظه لفظ الماضي، ومعناه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

هذا النداء بعد استقرار أهل الجنة في منازلهم، والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه، وفيه الترغيب بما يوصل إلى الجنة، قبل فوات الأوان.

قال ابن كثير: «يخبر تعالى بما يخاطب أهلُ الجنة أهلَ النار إذا استقروا في منازلهم، وذلك على وجه التقريع والتوبيخ»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٩.
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٣.
(٣) زاد المسير ٤/ ٢٥.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف]، وأمثالها كثير.

ويغلب استعمال هذا الأسلوب في سياق التهويل والتهديد وتعظيم أمور الآخرة.

قال الزركشي: «ويغلب ذلك ـ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ـ فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها؛ فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل]، وقوله في الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمر]، وقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [إبراهيم: ٢١]، . . .» إلخ[(١)].

وفي هذه العادة الأسلوبية:

١ ـ مخالفة ظاهر اللفظ مع مراعاة الدقة في المعنى، وذلك بتنزيل تحقُّقِ الوقوع منزلة الوقوع[(٢)].

٢ ـ وفيها الدلالة على قربه.

٣ ـ وكذلك صدق المُخبِر.

قال القرطبي: «أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة»[(٣)].

فمعرفة هذه العادة مما يُجلِّي القولَ بدقة ألفاظ هذا القرآن، وأن كل كلمة في موضعها المناسب، فلا يمكن رفعها وتنزيل غيرها مكانها، أو تبديلها بأحسن منها؛ لأنه ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصّلت].

---

(١) البرهان ٣/ ٣٧٢، وينظر: الإتقان ٢/ ٨٣.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة ٥٩، وينظر: المزهر ١/ ٢٦٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٦٥.

المطلب الثاني

تذكير المؤنث

❐ القاعدة المختَصَرة لمواضع تأنيث الفعل وجوباً:

١ ـ إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً حقيقيَّ التأنيث متصلاً بالفعل، نحو: «قامت هند».

٢ ـ إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود على مؤنث حقيقي التأنيث أو مجازي التأنيث، نحو: هند قامت، والشّمس طلعت.

❐ ويجوز تأنيث الفعل مع الفاعل:

١ ـ إذا كان الفاعل حقيقي التأنيث مفصولاً عن فعله، نحو: حضر القاضي اليوم امرأةٌ، وحضرت القاضي اليوم امرأةٌ.

٢ ـ إذا كان الفاعل ظاهراً مجازي التأنيث، نحو: طلع الشّمس، وطلعت الشّمس.

٣ ـ إذا كان الفاعل جمع تكسير، نحو: جاء الرجال، وجاءت الرجال[١].

ومن عادات القرآن الأسلوبية استعمالُ المذكر في موضعٍ ظاهره استعمالُ المؤنث، وهذا من تَرْك حُكمِ ظاهر اللفظ وحمله على معناه، وهو نوع من أنواع البلاغة القرآنية.

وتذكير المؤنث من سنن العرب.

يقول ابن جني: «فصل في الحمل على المعنى: قد ورد به القرآن وفصيحُ الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث»[٢].

---

(١) ينظر: اللمحة شرح الملحة ١/ ٣١٣، ٣١٤، شرح شذور الذهب ١٩٣، شرح ابن عقيل ١/ ٣٧٣.

(٢) الخصائص ٢/ ٤١١.

وقال الثعالبي[١]: «فصل في تذكير المؤنث وتأنيث المذكَّر في الجمع: هو من سنن العرب قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤]»[٢].

وقال الكفوي: «وتذكير المؤنث أسهلُ من تأنيث المذكر؛ لأن التذكير أصل والتأنيث فرع، فتذكير المؤنث على تأويله بمذكر، نحو: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ أي: وعظ، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [ق: ١١]؛ أي: مكاناً، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨]؛ أي: هذا الشخص أو الجرم أو الطالع...» إلخ[٣].

وتذكيرُ المؤنثِ أوسعُ من تأنيث المذكر.

قال ابن جني: «وتذكير المؤنث واسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب»[٤].

وعلى هذا فأمثلة تذكير المؤنث كثيرة، وفي هذه العادة:

١ ـ ردُّ فرع إلى أصل.

٢ ـ مراعاةُ المعنى الأصلي.

٣ ـ إفادة معنى إضافي، وأسلوب بلاغي.

قال الثعالبي: «فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر:

من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه... وفي القرآن: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ١١]، والسَّعير مذكر، ثمَّ قال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]، فحمله على النار؛ فأنثَّه،

---

(١) هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي النيسابوري، من أئمة اللغة والأدب، كان فراءً يخيط جلود الثعالب، واشتغل بالأدب والتاريخ، ومن مصنفاته: «يتيمة الدهر»، و«فقه اللغة»، و«سحر البلاغة»، و«لطائف المعارف»، مات سنة (٤٢٩هـ)، له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ١٧٨، شذرات الذهب ٣/ ٢٤٦.

(٢) فقه اللغة وأسرار العربية ٣٦٧.

(٣) الكليات ١٣١٧.

(٤) الخصائص ٢/ ٤١٥.

وقال عزَّ اسمه: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [ق: ١١]، ولم يقل: ميتة؛ لأنه حمله على المكان، وقال جلّ ثناؤه: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، فذكَّر السّماء وهي مؤنثة؛ لأنه حمل الكلام على السقف، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، والله أعلم»(١).

ومن الأمثلة لتذكير المؤنث:

ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

فلفظ: [مَوْعِظَةٌ] مؤنث، والفعل [جَاءَ] مذكر.

قال الزركشي: «يكثر في تأويله ـ المؤنث ـ بمذكر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، على تأويلها بالوعظ»(٢).

جاز تذكير الموعظة أو معاملتها معاملة المذكر؛ لأن تأنيثها ليس بحقيقي، وانصرف الفعل إلى معنى الموعظة.

قال السمرقندي: «﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ولم يقل جاءته؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي، ويجوز أن يذكر ويؤنث؛ لأنه انصرف إلى المعنى؛ يعني: فمن جاءه نهي، ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾ في القرآن، في بيان تحريم الربا»(٣)، ومثله قال القرطبي(٤).

قال ابن كثير: «﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ أي: من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة»(٥).

وقد جاء الفعل مؤنثاً مع الموعظة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ

---

(١) فقه اللغة وأسرار العربية ٣٦٧.
(٢) البرهان ٣/ ٣٥٩.
(٣) تفسير السمرقندي ١/ ٢٠٧.
(٤) تفسير القرطبي ٣/ ٣٥٩.
(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٧٠٩.

جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس].

وهذا مما يؤكد جواز ذلك[١]، كما هو قول أهل اللغة، والوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد[٢].

قال ابن منظور[٣]: «الوَعْظ والعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ: النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب... وفي التنزيل: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، لم يجئ بعلامة التأْنيث؛ لأَنه غير حقيقي، أَو لأَن الموعِظة في معنى الوَعْظ»[٤].

والمراد بالموعظة هنا: القرآن في كلام أكثر المفسرين[٥].

فالملحوظ أن في تذكير الفعل إسقاطاً للتاء، وفي تأنيثه زيادة التاء.

فتفسير الأولى: مجيء النهي من القرآن.

وتفسير الثانية: مجيء القرآن كلِّه.

وفي هذا تأكيد لزيادة المعنى عند زيادة المبنى، والله أعلم.

ومن الأمثلة: تذكير الفعل مع لفظ البينات.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران].

الفعل [جَاءَ]: مذكر، والفاعل [الْبَيِّنَاتُ]: مؤنث.

قال الطبري: «يعني: وجاءهم الحجج من عند الله والدلائلُ بصحة ذلك»[٦].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٦.
(٢) ينظر: زاد المسير ١/ ٢٨٤.
(٣) هو: محمد بن مكرم بن علي ابن منظور أبو الفضل الأنصاري، من أشهر كتبه: «لسان العرب»، وله اختصارات كثيرة لكتب الأدب المطولة، مات سنة (٧١١هـ)، له ترجمة في: فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، الدرر الكامنة ٤/ ٢٦٢.
(٤) لسان العرب مادة: (وَعَظ) ٧/ ٤٦٦.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٦٧، ١٥/ ١٠٥، معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٠، الكشاف ٢/ ٣٣٦، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٤، تفسير القرطبي ٨/ ٣٥٣، البرهان ١/ ٢٧٣.
(٦) تفسير الطبري ٦/ ٥٧٦.

فالمراد بالبينات: الحُجَج والدلائل على صدق الرسول ﷺ.

قال ابن كثير: «أي: قامتْ عليهم الحُجَجُ والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسولُ، وَوَضَح لهم الأمرُ، ثم ارتدوا إلى ظُلْمة الشرك»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

أي: من حُجج الله(٢).

قال ابن كثير: «ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر].

قال القرطبي: «أي: دلائل توحيده»(٤).

ولفظ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ ليست مؤنثاً حقيقياً؛ فيجوز إتيان الفعل مذكراً.

ولذا جاء في باقي المواضع بتأنيث الفعل.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة].

قال الطبري: «وقد قال عدد من أهل التأويل إن البينات هي: محمد ﷺ والقرآن، وذلك قريب من الذي قلنا في تأويل ذلك؛ لأن محمداً ﷺ والقرآن، من حجج الله على الذين خوطبوا بهاتين الآيتين، غير أن الذي قلناه في تأويل ذلك أولى بالحق؛ لأن الله جل ثناؤه، قد احتج على من خالف الإسلام من أحبار أهل الكتاب بما عهد إليهم في التوراة والإنجيل، وتقدَّم إليه على ألسن أنبيائهم بالوصاة به، فذلك وغيرُه من حجج الله تبارك وتعالى عليهم مع ما لزمهم من الحجج بمحمد ﷺ وبالقرآن، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٧١.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٩٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٩١.
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٩.

في ذلك، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

فرجَّح الطبري الجَمْعَ بين القولين فشمل معنى البينات في هذه الآية: حُجج الله ومنها القرآن والرسالة.

ـ وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

أي: كان الناس مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، وقيل: بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين، وذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وهذا يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات، والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً[٢].

قال الطبري: «﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ يعني بذلك: من بعد ما جاءتهم حجج الله وأدلته أنّ الكتابَ الذي اختلفوا فيه وفي أحكامه عند الله، وأنه الحق الذي لا يسعهم الاختلاف فيه، ولا العمل بخلاف ما فيه»[٣].

وقال البغوي: «صفة محمد ﷺ في كتبهم»[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ٢٥٩.
(٢) ينظر: تفسير السعدي ٩٥.
(٣) تفسير الطبري ٤/ ٢٨١، وينظر: النكت والعيون ١/ ٢٧١.
(٤) تفسير البغوي ١/ ٢٤٤.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

المراد بالبينات: الرسل الذين جاء وصفهم في أول الآية، والآيات التي جاءت على أيدي الرسل.

قال الطبري: «يعني: من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وبعد عيسى ابن مريم، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

فقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام، وما كان من إهلاك فرعون وجميع جنوده في اليمّ(٢).

قال الطبري: «وإنما عنى بـ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: أنها آيات تبين عن أنهم لن يروا الله في أيام حياتهم في الدنيا جهرة، وكانت تلك الآيات البينات لهم على أن ذلك كذلك: إصعاقُ الله إياهم عند مسألتهم موسى أن يريهم ربه جهرة، ثم إحياءه إياهم بعد مماتهم، مع سائر الآيات التي أراهم الله دلالةً على ذلك»(٣).

وقال القرطبي: «﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: البراهين والدلالات والمعجزات الظاهرات؛ من اليد والعصا وفلق البحر وغيرها، بأنه لا معبود إلا الله عز وجل»(٤).

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٣٨٠.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٦.
(٣) تفسير الطبري ٩/ ٣٦٠، وينظر: تفسير الرازي ١١/ ٧٧.
(٤) تفسير القرطبي ٦/ ٦ ـ ٧.

وبعد استقراء مواضعه في القرآن مع الفعل المؤنث والمذكر، تبين الآتي:

١ ـ أن من الأسرار ـ والله أعلم ـ اختيار اللفظ المناسب لكل موضع حسب المعنى المراد، فالملاحظ أن لفظ [الْبَيِّنَاتُ] يدل مع الفعل المذكر على معنى الحُجج والبراهين والأوامر والنواهي، وتزيد دلالته مع الفعل المؤنث فيشمل الحُجج والبراهين والرسل والرسالات وما جاء معهم من آيات، فيَجوز أن يكون من باب زيادة اللفظ زيادةٌ في المعنى، فزيادة تاء التأنيث تدل على زيادة المعنى في البينات.

٢ ـ أن لفظ [الْبَيِّنَاتُ] جمع تكسير؛ فيجوز معه تأنيث الفعل وتذكيره، وإتيان فعله مرة مذكراً وأُخرى مؤنثاً من باب التنويع والتفنن في الأسلوب، والعلم عند الله.

ومن الأمثلة كذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

فهنا لم تلحق علامة التأنيث وصف ﴿قَرِيبٌ﴾ مع أن موصُوفَهُ مؤنث اللفظ ﴿رَحْمَتَ﴾، وقد كَثُرت أقوال العلماء في التوجيه لهذا الأسلوب.

وقد أطال ابن القيم في ذكر الوجوه فقال: «وأما الإخبار عن الرحمة وهي مؤنثة بالتاء بقوله: قريب وهو مذكر؛ ففيه اثنا عشر مسلكاً نذكرها ونبين ما فيها من صحيح وسقيم ومقارب...»[(١)].

وأهم هذه الوجوه:

١ ـ أن قريباً يتعين فيها التأنيث مع المؤنث إذا أُطلقت على قرابة النسب، وأما إذا أُطلق على قرب المسافة فيجوز فيها التذكير والتأنيث، والتذكير أكثر[(٢)].

---

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٤٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨٠، وينظر تفصيل الأقوال: البرهان ٣/ ٣٦٠، تفسير الرازي ١٤/ ١١١، تفسير البيضاوي ٣/ ٢٨، تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٧، تفسير أبي السعود ٣/ ٢٣٣، أضواء البيان ٢/ ٣٢.

٢ ـ أن الرحمة مضافة إلى الله، فلهذا قال: قريب من المحسنين[١].

٣ ـ أن الرحمة مصدرٌ بمعنى الرحِم أو الإحسان أو الثواب؛ فالتذكير باعتبار المعنى[٢].

٤ ـ أن قريباً صفةُ موصوف محذوف تقديره: شيء قريب[٣].

٥ ـ أن قريباً فعيل بمعنى مفعول الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث[٤].

وأقربها وجهان:

الأول:

أن الرحمة مضافة إلى الله تعالى، والإحسان يقتضي قرب الرب من عبده، كما أن العبد قرب من ربه بالإحسان.

وهذا ما رجَّحه ابن القيم حيث يقول: «فالرب تبارك وتعالى قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، وقربه يستلزم قرب رحمته ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة.

ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لا يسلتزم الأخص، بخلاف قربه، فإنه لما كان أخص استلزم الأعم، وهو قرب رحمته، فلا تستهن بهذا المسلك فإن له شأناً، وهو متضمن لسِرٍّ بديع من أسرار الكتاب، وما أظن صاحب هذا المسلك قصَدَ هذا المعنى ولا ألمَّ به، وإنما أراد أن الإخبار عن قرب الله تعالى من المحسنين كاف عن الإخبار عن قرب رحمته منهم»[٥].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٤/ ٢٤١، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٩، الكليات ١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٨٧، الصحاح ٢/ ٢١٨، تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٨، النكت والعيون ٢/ ٢٣١، تفسير البغوي ٣/ ٢٣٨، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٧٥، نظم الدرر ٣/ ٤٤، لسان العرب ١/ ٦٦٣، الكليات ١٣١٨.

(٣) ينظر: البرهان ٣/ ٣٦١، تفسير أبي السعود ٣/ ٢٣٣.

(٤) ينظر: العين للخليل ٧٧٧، تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٨.

(٥) بدائع الفوائد ٣/ ٥٤١.

الثاني:

أن القرابة إذا كانت قرابة نسب تعَيَّن التأنيث فيها مع الأنثى.

فتقول: هذه المرأة قريبتي؛ أي: في النسب، ولا تقول: قريب مني، وإذا أطلقت القرابة على المسافة جاز فيه مطابقة موصوفه، وجاز التذكير على التأويل بالمكان، فتقول: داره قريبة، وقريب مني، والتذكير على التأويل بالمكان هو من المعروف عن العرب.

قال الفراء: «ورأيت العرب تؤنث القريبة في النسب لا يختلفون فيها، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منك قريب في القرب والبعد، ذكروا وأنثوا»[(١)].

وهو قول أبي عبيدة[(٢)]، والطبري[(٣)].

والدليل على هذا التوجيه، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى].

ولما كان المراد من القرب في هذه الآية قرب المسافة جاء لفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ مذَكَّراً على الغالب من استعماله ـ وهذا من لطيف فروق العربية في استعمال المشترك ـ إزالة للإبهام بقدر الإمكان[(٤)]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث

استعمال لفظين مختلفين في معنى واحد

لغة القرآن من مظاهر إعجازه، ولغته: ألفاظٌ ودلالات، وإذا تأملنا في ألفاظه وجدنا عادةً تميَّزَ بها القرآن، وهي استعمال الأساليب العالية؛ لإيصال

---

(١) معاني القرآن ١/ ٣٨١.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٢١٦، وهو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي النحوي البصري، من أشهر تصانيفه: «مجاز القرآن»، مات سنة (٢١٠هـ)، وقيل غيرها، له ترجمة في: طبقات الداوودي ٢/ ٣٢٦، طبقات الأدنه وي ٣٠.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٤٨٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٨/ ١٧٧.

المعاني المقصودة، فتكامل فيه الوفاء بين اللفظ والمعنى بأسلوب عظيم.

قال الخطابي[١]: «اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضَمَّناً أصحَّ المعاني...» إلخ[٢].

ومن ذلك موضوع اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وباصطلاح آخر: ترادف الألفاظ، فكم جاء في القرآن اختيار كلمة في موضع، واختيار مرادفٍ لها في موضع آخر، سواءً كان كلياً أو جزئياً.

والمراد باستعمال اللفظين بمعنى واحد في هذا المطلب: المعاني الأصلية.

أي: الترادف في أصل المعنى، أما المعاني الثانوية فكلُّ لفظٍ يؤدي معاني دقيقة لا توجد بتفاصيلها في اللفظ الآخر، وهذا هو استعمال أكثر العلماء، وفَهْمُه يُزِيل كثيراً من موارد النزاع في المسألة.

ولذا حمَلَت رسالة الرماني في الترادف اسم: «الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى».

وعبَّر عنه ابن جني بقوله: «تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفضَى المعنى إلى معنى صاحبه».

وأفرد له باباً سماه: «باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني»[٣].

وقال ابن الأعرابي[٤]: «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد؛

---

(١) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطَّاب البستي، أبو سليمان، فقيه محدِّث، من مصنفاته: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود»، و«بيان إعجاز القرآن»، و«إصلاح غلط المحدِّثين»، و«غريب الحديث» وغيرها. توفي في بست سنة (٣٨٨هـ)، له ترجمة في: وفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤.

(٢) بيان إعجاز القرآن ٢٧ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٣) الخصائص ٢/ ١١٣.

(٤) هو: محمد بن زياد الهاشمي، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله الكوفي الأحول، راوية، ناسب، علامة باللغة، له تصانيف كثيرة منها: «أسماء الخيل وفرسانها»، و«تاريخ القبائل»، و«النوادر»، مات سنة (٢٣١هـ)، له ترجمة في: وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٦، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٨.

في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله»[١].

وقال ابن تيمية: «فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادرٌ وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبَّر عن لفظٍ واحدٍ بلفظ واحدٍ يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»[٢].

وهذه العادة تجعلُ مِنَ المترادفَين معنىً لا يؤديه كل واحدٍ منهما منفرداً، ويَظْهر هذا جلياً في عطف المترادفات.

وعلى كلٍّ فليس البحث في وقوع الترادف أو خلافه[٣].

لكن ـ على جميع الأقوال ـ مَهْمَا أمكن حمل الألفاظ القرآنية على عدم الترادف كان أولى[٤]، ولو كانت الألفاظ داخلة في معنى كلِّي واحد، إلا أنه معنى عامٌّ صالح لنِسَب متفاوتة من المعاني.

قال الزركشي: «فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات، والقطْعُ بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد؛ ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحدِ المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد»[٥].

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

فالوَهَن يُعَرَّف عند أهل اللغة بالضعف، مما يدل على اشتراكهما في أصل المعنى.

قال ابن فارس: «وَهَنَ: الواو والهاء والنون: كلمتانِ تدلُّ إحداهما على

---

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة ١/ ٣١٤. (٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤١.

(٣) ينظر أقوال العلماء في هذه المسألة: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ٣٩، ١٦٣.

(٤) ينظر: الكليات ٤٨٥، الإتقان ٢/ ١٥٤، التفسير والمفسرون ١/ ٢٦٠.

(٥) البرهان ٤/ ٧٨.

ضَعف، والأخرى على زمان»[١].

وقال أيضاً: «ضعف: الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينانِ، يدلُ أحدُهما على خلاف القُوَّة، ويدلُّ الآخر على أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه»[٢].

وعند التدقيق في الفروق نجد العسكري[٣] يقول: «الفرق بين الوهن والضعف: أن الضعف ضد القوة، وهو من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعل الله، تقول: خلقه الله ضعيفاً، أو خلقه قوياً، وفي القرآن: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، والوَهَن: هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، تقول: وهن في الأمر يَهِنُ وَهْناً وهو واهن إذا أخذ فيه أخذ الضعيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أي: لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إياه لكم»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه].

فالظلم والهضم يجتمعان في معنى النقص، وعُرِّف الهضم بالظلم.

كما قال ابن فارس: «والمتهضِّم: الظالم»[٥].

وقال ابن منظور: «المُتَهَضَّمُ والهَضِيمُ جميعاً المظلومُ»[٦].

ولكن عند التأمل والتدقيق نجد من ذَكَر فروقاً بينهما.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٤٩.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٦٢، وينظر: لسان العرب ٩/ ٢٠٣، ١٣/ ٤٥٣.

(٣) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، الأديب اللغوي، من مصنفاته: «التلخيص في اللغة»، و«جمهرة الأمثال»، و«الحث على طلب العلم»، و«الفروق في اللغة»، وكتاب «الصناعتين»، و«المحاسن في تفسير القرآن»، مات بعد سنة (٣٩٥هـ)، له ترجمة في: وفيات الأعيان ١/ ٥٥، معجم البلدان ٤/ ١٢٣.

(٤) الفروق في اللغة ١٨٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٦/ ٥٥.

(٦) لسان العرب ١٢/ ٦١٣.

كما قال الطبري: «﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾﴾ يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

وقال ابن الجوزي: «وفرق بعض المفسرين بين الظُّلم والهَضْم، فقال: الظُّلم: منع الحق كلِّه، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلْماً أيضاً»(٢).

وعلى هذا يكون الظلم أعم من الهضم؛ لأنه في منع الحق كله أو بعضه، فكل هضمٍ ظلمٌ، وليس كل ظلم هضماً، والله تعالى أعلم.

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

فمع تقارُب النَّصَب واللغُوب في المعنى إلا أنه لمَّا اجتمعَا أفادا معنىً لا يؤديانه منفردين.

قال ابن منظور: «نَصَب: النَّصَبُ الإِعْياءُ من العَناءِ»، وقال أيضاً: «لَغَب: اللُّغُوبُ التَّعَبُ والإِعْياءُ»(٣).

وقال السيوطي: «فإن [نُصُبٍ] كـ [لَغَب] وزنا ومعنى»(٤).

وعند البحث نجد من فَرَّقَ بين اللفظين بفرقٍ دقيق؛ كالزمخشري حيث يقول: «فإن قلتَ: ما الفرق بين النصب واللغوب؟.

قلتُ: النصب: التعب والمشقة التي تصيب المنتَصِب للأمر المزاول له، أما اللغوب: فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب نفس المشقة والكلفة، واللغوب: نتيجته وما يحدث من الكلال والفترة»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدَّثر].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٣٧٩، وينظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٩٦.
(٢) زاد المسير ٤/ ٣٢٤، وينظر: الفروق في اللغة ٤٠٧.
(٣) لسان العرب ١/ ٧٥٨، وكذا ١/ ٧٤٢.
(٤) الإتقان ٢/ ١٥٤.
(٥) الكشاف ٣/ ٦٢٤.

ظاهر اللفظين الترادف.

قال القرطبي: «وكرر اللفظ تأكيداً»(١).

وإن كانا متقاربين إلا أنه باجتماعهما حصل معنى لا يحصل بانفراد كل لفظ عن الآخر.

فذكر العلماءُ الفرقَ الدقيق الذي به اكتمل المعنى.

قال الطبري: «﴿لَا تُبْقِي﴾ من فيها حياً، ﴿وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ من فيها ميتاً، ولكنها تحرقُهم كلَّما جُدِّد خلقُهم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(٢).

وقال الماوردي: «﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تبقي من فيها حياً، ولا تذره ميتاً، قاله مجاهد.

الثاني: لا تبقي أحداً من أهلها أن تتناوله، ولا تذره من العذاب، حكاه ابن عيسى، ويحتمل وجهاً ثالثاً: لا تبقيه صحيحاً، ولا تذره مستريحاً»(٣).

ومن الأمثلة:

ـ لفظ [الصوف] و[العهن].

فالصوف معروفٌ وهو شعر الغنم.

قال ابن فارس: «صوف: الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف، والباب كله يَرجِع إليه»(٤).

وكذلك العهن، فقد فُسِّر بالصوف في المعاجم والتفاسير، فهما بمعنى واحد أصلي، ولكن بينهما معنى زائد.

قال ابن فارس: «العِهْن: الصُّوف المصْبُوغُ»(٥).

وقال ابن منظور: «العِهْنُ الصُّوفُ المصْبُوغُ أَلواناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة]»(٦).

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٧٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٧.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٣٥٠، وينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٤٤٩، الدر المصون ١٠/ ٥٤٥.
(٤) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٢٢.
(٥) المرجع السابق ٤/ ١٧٧.
(٦) لسان العرب ١٣/ ٢٩٧.

وقال الطبري: «وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة] يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعِهْن: هو الألوان من الصوف، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

ولم يرد لفظ [الصوف] إلا في موضع واحد من القرآن، وهو:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل].

وهذا السياق امتنان من الله تعالى على عباده بهذه النعم.

أما لفظ [العهن] فقد ورد في موضعين من القرآن، وهما:

ـ قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعارج].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة].

فالعهن في كلا الموضعين وارد في سياق تشبيه الجبال الراسيات بالصوف المنفوش يوم القيامة.

وفي اختيار اللفظ هنا فرقٌ دقيقٌ أشار إليه بعض العلماء وإن اشتركا في المعنى الأصلي.

فعند تأمل تعريف [العهن]؛ نجد فيه الزيادةُ على تعريف [الصوف] بكونه مصبوغاً ملوناً، واختيار لفظ [العهن] دون لفظ [الصوف] أدقُّ في التشبيه؛ لأن الجبالَ مُكَوَّنةٌ من تربةٍ ذات ألوان مختلفةٍ ملونة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [فاطر: ٢٧].

قال الفراء: «وقوله ﷻ: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]؛ لأن ألوانها ـ أي: الجبال ـ مختلفة؛ كألوان العهن»(٢).

وقال الراغب: «العهن: الصوف المصبوغ، قال تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]، وتخصيص العهن لما فيه من اللون»(٣).

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٤.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٧.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٥٩٢.

وإلى مثل هذا أشار القرطبي[١].

إن هذه العادة ـ استعمالُ لفظينِ بمعنىً واحد ـ مهمةٌ جداً لفهم كتاب الله وحسن تدبره، وقد أفردها العلماء بالتأليف، وذكروا المؤيدين والمعارضين، وكما أشرت فليس هذا موضع التفصيل.

ولكن أذكر ما توصلت إليه بعد بحث هذه المسألة:

١ ـ أن لفظ الترادف عند العلماء يُطلَق على نوعين:

الأول: الترادف الكلي.

والثاني: الترادف الجزئي، فلا بد من الاستفصال عند الإطلاق.

فإذا قيل: مترادفان، فغالباً ما يُراد الاشتراكُ في المعنى الأصلي، ولو افترقا في المعاني الثانوية، وهذا موجود في اللغة والقرآن.

وعليه؛ فالقول باستعمال لفظين بمعنى واحد هو من هذا الباب[٢].

وبسبب الاصطلاح الأول؛ منع البعضُ وجودَ لفظين بمعنى واحدٍ في اللغة والقرآن.

٢ ـ مَنْ منَعَ وجودَ الترادف:

- فلا يشمل عنده ما إذا كان اللفظان في لغتين؛ لأن هذا لا نزاع في جوازه، مثل: نهْر ونهَر، بسطة وبصطة، فهما لغتان بمعنى واحد[٣]، وعلى هذا فالترادف الكلي: نادر إن لم ينعدم في لغة واحدة.
- ولا يلزمه القول باختلاف اللفظين؛ بل المراد مِنْ مَنْعِ الترادف: أن في كلِّ لفظٍ منهما معنىً ليس في الآخر.

قال ابن فارس: «ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان، وإنما نقول: إن

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٥.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط ٣٣٩، قالوا: ترادف الكلمتين أن تكونا بمعنى واحد، وكذلك ترادف الكلمات (مولّد).

(٣) ينظر: الفروق في اللغة للعسكري ١٢، معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٥٢، مفردات ألفاظ القرآن ٨٢٥، لسان العرب ٧/ ٢٦١.

في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى»[١].

٣ ـ في عطف المترادفين على بعض تقويةُ المعنى، وتوكيدُه، وتمامُه.

قال الكفوي: «والملخَّص في هذا: أن يُعتقد أن مجموع المترادفين يُحصِّل معنى لا يوجد عند انفرادهما؛ فإن التركيب يُحدِث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ»[٢].

٤ ـ أهمية مراعاة السياق الذي وردت فيه الألفاظ المترادفة؛ لأن وجودَ اللفظ في سياقٍ معينٍ هو الذي يُحدد المعنى الزائد فيه.

قال الزركشي: «قاعدةٌ في ألفاظ يُظن بها الترادف وليست منه، ولهذا وزِّعَت بحسب المقامَات، فلا يقوم مرادِفها فيما استُعمِل فيه مقامَ الآخر»[٣]، والله تعالى أعلم.

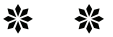

(١) الصاحبي في فقه اللغة ٦٠.
(٢) الكليات ٤٨٦، وينظر: الإتقان ٢/ ١٥٤.
(٣) البرهان ٤/ ٧٨.

الباب الثاني

عادات القرآن في الحذف والإضمار والإيجاز وضدها

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: عادات القرآن في الحذف والذكر.
- الفصل الثاني: عادات القرآن في الإضمار والإظهار والإيجاز والإطناب.

الفصل الأول

عادات القرآن في الحذف والذكر

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: حذف المبتدأ أو الخبر.
- المبحث الثاني: حذف الفعل أو المفعول به.
- المبحث الثالث: حذف الصفة أو الموصوف.
- المبحث الرابع: حذف المضاف أو المضاف إليه.
- المبحث الخامس: حذف جواب الشرط والقسم.

❐ **تمهيد:**

الأصل في كلام الله تعالى عدم الحذف، وكذلك الكلام العربي، وعليه: فكُلّما أمكن حمل الكلام على عدم الحذف أو قلته فهو الأولى.

وكمَا سبق فمن عادات القرآن حذفُ الحرف لفائدةٍ أعلى من ذكره، وكذلك عادته حذف اللفظ ـ الذي يقتضيه معنى النص ـ لفائدة أكبرَ من ذكره.

وأمثلة الحذف في القرآن كثيرةٌ كما سيأتي في المباحث التالية، فقد يحذف من الأول لدلالة الآخر، وقد يحذف من الآخر لدلالة الأول، وقد يحذف من الأول والآخر معاً؛ لأن في كل منها ما يدل على المحذوف من سياق الآيات، وقد ذكر ابن هشام أكثر من ثلاثين نوعاً من أنواع الحذف في اللسان العربي، واستشهد على كثيرٍ منها بأمثلة قرآنية[١].

ولا شك أن الأهم عند تطبيق هذه العادة على الآيات القرآنية: العلمُ بأن الحذف إنما جاء على نهج العرب في كلامها، فبلغ به القرآن أعلى أنواع البلاغة والفصاحة.

قال الجرجاني[٢] في باب الحذف: «هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن»[٣].

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ٨١١.

(٢) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمٰن أبو بكر الجرجاني النحوي البلاغي، الشافعي الأشعري، من مصنفاته: كتاب «المغني في شرح الإيضاح»، و«إعجاز القرآن»، و«دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة في علم المعاني»، و«صنف التفسير»، مات سنة (٤٧١هـ)، وقيل: (٤٧٤هـ)، له ترجمة في: العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٧٩، طبقات الأدنه وي ١٣٣.

(٣) دلائل الإعجاز ١٢١.

المبحث الأول

حذف المبتدأ أو الخبر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حذف المبتدأ.**
- **المطلب الثاني: حذف الخبر.**

المطلب الأول

حذف المبتدأ

يجوز حذف المبتدأ كُلَّما دل عليه دليل، ولم يؤد إلى الالتباس في المعنى، بل هو أسلوب عربيٌّ فصيح، وفي هذا الحذف إيجاز، وسعة في التقدير، وسعة في المعاني، وهو من مقاصد البلاغة(١).

قال ابن مالك:

وحذفُ ما يُعلم جائزٌ، كما تقولُ زيدٌ، بعد مَن عِندَكما؟
وفي جواب كيف زيدٌ؟ قل: دنف فزيدٌ استُغنِيَ عنه إذْ عُرِف(٢)

وعند تأمل كتاب الله تعالى نجد أمثلة حذف المبتدأ كثيرة، ومنها:

ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران].

أي: كسبهم وربحهم متاعٌ قليل(٣).

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٥٢، المزهر في علوم اللغة ١/ ٢٦١.
(٢) ألفية ابن مالك ١٨.
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٢٠٦.

ومثل هذا كلُّ موضعٍ جاء فيه الخبر مصدراً نائباً عن فعله.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

أي: فنعم الصدقات هي[١].

ومثل هذا كل موضع جاء فيه الخبر مخصوصاً بالمدح أو الذم، بعد نعم وبئس مؤخراً عنهما[٢].

ومن الأمثلة:

حذف المبتدأ بعد القول.

ـ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء: ٨١].

والتقدير: أمرنا طاعةٌ[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف: ٤٤].

والتقدير: هي أضغاثُ[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾ [الذاريات: ٢٩].

والتقدير: أنا عجوزٌ[٥].

ـ وقوله سبحانه: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢].

أي: نحن خصمان[٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ [القمر: ٩].

والتقدير: هو مجنون[٧].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٧٠١.
(٢) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١/ ١٩٨.
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٣٩٦، البحر المحيط ٣/ ٣١٧.
(٤) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣١١، الجدول في إعراب القرآن ١٢/ ٤٤٠.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٦١.
(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٩٨.
(٧) ينظر: البحر المحيط ٨/ ١٧٤.

ومن الأمثلة:

حذف المبتدأ بعد فاء الجزاء.

ـ كما قال تعالى عن اليتامى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قال ابن الجوزي: «أي: فهم إخوانكم»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

والتقدير: فهو لأنفسكم.

ـ وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصّلت: ٤٦].

قال العكبري(٢): «﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهو لنفسه»(٣).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؛ كقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصّلت: ٤٦]، ونظائرها في القرآن كثيرة»(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

والتقدير: فالإساءة لها(٥)، وغرض الحذف في كل ذلك الاختصار.

ومن الأمثلة:

حذف المبتدأ إذا كان الخبر صفة له في المعنى.

قال ابن عاشور: «وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب، إذا ذكروا موصوفاً بأوصافٍ أو أخبارٍ جعلوه كأنه قد عُرِف للسامع»(٦).

---

(١) زاد المسير ١/ ٢١٥.

(٢) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العُكْبَري النحوي الحنبلي، جمع فنوناً من العلم، له من المصنفات: «التبيان في إعراب القرآن»، «إعراب الحديث»، مات سنة (٦١٦هـ)، له ترجمة في: طبقات الداوودي ١/ ٢٣١، شذرات الذهب ٥/ ٦٧.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٧٠٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٦/ ١٠، الجدول في إعراب القرآن ١٥/ ١٣.

(٦) التحرير والتنوير ١/ ٣١٣.

ـ كقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة].

صمٌّ: خبر لمبتدأ محذوف، وهو ضمير يعود إلى ما قبله، والتقدير: هم صمٌّ.

ـ وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد].

عالمُ: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو عالمُ(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة].

فارتفاع بديعُ على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو بديعُ(٢).

ومن الأمثلة:

حذف المبتدأ بعد بل.

ـ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [الأنبياء].

عباد: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هم عبادٌ.

قال مكي: «أي: بل هم عباد مكرمون»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة].

قال الزمخشري: «حُذِف المبتدأ في قوله [أَحْيَاءٌ]، والمعنى: هم أحياء لدلالة الكلام عليهما»(٤).

ومن الأمثلة:

حذف المبتدأ في جواب السؤال والاستفهام.

قال ابن هشام: «يكثر حذف المبتدأ في جواب الاستفهام»(٥).

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٥٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ١٩٧.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ ٤٧٤٦، البرهان ٣/ ١٣٥.

(٤) الكشاف ١/ ٤٦٧، وينظر: الدر المصون ٢/ ١٨٤.

(٥) مغني اللبيب ٨٢٢.

ـ كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

والتقدير: الملك لله الواحد، فحذف المبتدأ من الجواب، إذ المعنى لا ملك إلا لله[١].

ـ وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون].

فالتقدير: سيقولون الأرضُ ومن فيها لله، ليطابق الجواب السؤال.

قال العكبري: «وهو مطابق للفظ والمعنى»[٢].

ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢].

أي: هي النار[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

نارٌ: خبر لمبتدأ محذوف في جواب السؤال، والتقدير: هي نار[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة].

نارُ الله: خبر لمبتدأ محذوف في جواب السؤال؛ أي: هي نار الله[٥].

وبعد تأمل هذه المواضع من حذف المبتدأ في كتاب الله تعالى؛ أذكر بعض الحِكَم واللطائف من هذا الحذف، ومنها:

ـ أنه إذا عُرِف المعنى بأسلوب أقلّ اكتُفي به؛ فالإيجاز من مطالب الفُصَحاء، والقرآن ضَرَب المثل الأعلى لهذا الأسلوب؛ ففيه تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل، كما هي عادة القرآن.

ـ إذا وُجِد ما يدل على المبتدأ المحذوف فلا حاجة لذكره، حفاظاً على

---

(١) ينظر: البرهان ٤/٤٨.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/٩٥٩.
(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٨/٦٨٤، زاد المسير ٤/٣٩٨.
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/٨٤١٤.
(٥) ينظر: الدر المصون ١١/١٠٧.

وقت القارئ، ولئلا يُشغل بغير المهم، ومما يدل عليه: كثرةُ الاستعمال، أو عِلْمُ المخاطب به، ونحو ذلك.

ـ إذا كان السياق لا يحتمل غيرَ المحذوف، فلا يصلُح للتقدير إلا هو، كما في الإخبار عن صفات الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد].

فقوله: [عَالِمُ] خبر لمبتدأ محذوف[١]، لا يصلُحُ وضع هذه الصفة إلا لله، فالذي سوغ الحذفَ كونُه من مواضع العلم بالمحذوف[٢].

إن المبتدأ ركن من أركان الجملة لا تقوم إلا به، والذي جوّز حذفه عند أهل اللغة، وجود دليل عليه حاليٍّ أو مقالي، وموقعُ المحذوف في القرآن أملَحُ على النفس من ذكره.

قال الجرجاني بعد الإشارة إلى عدد من الأمثلة في حذف المبتدأ، وأن في الحذف أنساً وملاحَةً تذهبُ إذا رُمْتَ التَّكلم به: «وإذ قد عَرَفْتَ هذه الجملَةَ من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أن ذلك سبيلُه في كلِّ شيء، فما من اسم أو فعلٍ تجدُه قد حُذِف، ثم أُصيبَ به موضعُه، وحُذِف في الحال يَنْبغي أَن يُحذَفَ فيها، إلَّا وأنت تجدُ حذفَه هناك أحسنَ من ذكرِهِ، وترى إضمارَه في النفس أولى وآنس مِنَ النطق به»[٣].

المطلب الثاني

حذف الخبر

من عادات القرآن حذف الخبر، وذلك لوجود ما يدل على المحذوف، وعند تأمل كتاب الله تعالى نجد أمثلةَ حذفِ الخبر كثيرة، وآثارها في المعنى والأسلوب كبيرة، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٥٣.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٣١٣، ١٨/ ١١٧.
(٣) دلائل الإعجاز ١٢٦، ١٢٧.

ومعرفة مواضع الحذف في القرآن جزء من تدبره، كما أن فيها جمع الشواهد النحوية من كتاب الله، والاستدلالُ بها لقواعد العربية والتأصيلُ لها.

ومن أمثلة حذف الخبر:

إذا كان المبتدأ بعد لولا، والخبر كون عام(١).

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور].

قال العكبري: «﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: لولا فضل الله حاضر، ولزم حذفُ الخبر لقيامِ العلم به، وطولِ الكلام بجواب لولا»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

فقوله: ﴿دَفْعُ﴾ مبتدأ مرفوع، والخبر محذوف وجوباً تقديره: موجود(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصَّافات].

قال مكي: «والخبر محذوف، و﴿لَكُنتُ﴾ جواب لولا تقديره: ولولا نعمة ربي تداركتني أو استنقذتني ونحوه لكنت معك في النار»(٤).

فإن كان الخبر دالّاً على كون خاص(٥)، وجب ذكره إن لم يدل عليه دليل.

ومن الأمثلة:

حذف الخبر إذا كان المبتدأ نصاً في القسم.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر].

---

(١) بمعنى: الدلالة على وجود أو كون عام، فيقدر: بمعنى كائن أو موجود، أو مستقر أو حاصل.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٧٢.

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٣/ ١٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦١٤.

(٥) كالمشي والركوب والقعود والأكل والشرب ونحوها؛ كقول: لولا العدو سالمنا ما سلم، فإن دل عليه دليل جاز حذفه وذكره، نحو: لولا مساعدوه لفشل، أو لولا مساعدوه قدموا له العون لفشل. ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١/ ٢٠١.

قال مكي: «رفع [لَعَمْرُ] على الابتداء، والخبر محذوف»(١).

والمعنى: لعَمْرك قَسَمي، ولعَمْرك ما أُقسِمُ به، وحُذف الخبر؛ لأن في الكلام دليلاً عليه(٢).

ومن الأمثلة:

حذف الخبر إذا وقع بعد المبتدأ واوٌ هي نص في المعية.

ـ كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصَّافات].

قال الزمخشري: «يجوز أن تكون الواو بمعنى: مع، مثلها في قولهم: كلُّ رجل وضيعته، وأنّ كل رجل وضيعته؛ فكما جاز السكوت على: كل رجل وضيعته؛ جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، سادٌّ مسدَّ الخبر؛ لأن معناه: فإنكم مع ما تعبدون»(٣).

ومن الأمثلة:

حذف الخبر إذا كان المبتدأ مصدراً، وبعده حال سدت مسد الخبر(٤).

ـ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

كلمته: مبتدأ، وألقاها: حال سدت مسد الخبر، والعامل فيها معنى: كلمته؛ لأن معنى الكلمة أنه مكون بها من غير أب(٥)، وهو مِثْل قولهم: ضربي زيداً قائماً.

فهذه المواضع مما يُحذف فيه الخبر عند العرب.

كما قال ابن مالك:

وبعد لولا غالباً حذْف الخبر حتمٌ وفي نصِّ يمين ذا استقر

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٦/ ٣٩١٤.
(٢) ينظر: زاد المسير ٤/ ٦٩، تفسير القرطبي ١٠/ ٤٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٦٧، وينظر: تفسير الرازي ٢٦/ ٣٦٥، البحر المحيط ٧/ ٣٦٢.
(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١/ ٢٢٣.
(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤١٢، المحرر الوجيز ٢/ ١٦٣.

وبعد واوٍ عيَّنت مَفهوم مع ... كَمِثْلِ (كلُّ صانعٍ وما صنع)
وقبل حال لا يكون خبَرَا ... عن الذي خبَرُه قد أُضْمِرا
كضَربيَ العبدَ مُسيئاً وأتم ... تبْيِينيَ الحقَّ مَنُوطاً بالحِكَم[١]

ولا يمكن حصر مواضع جواز حذف الخبر[٢]؛ لأنه كلَّما دلَّ على حذف الخبر دليل جاز حذفه.

ومن الأمثلة:

إذا عُطفت جملة اسمية على جملة أخرى خبرها غير محذوف.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ففي هذه الآية أخبار محذوفة لوجود دليل عليها.

قال الرازي: «وأما قوله: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهو مرفوع بالابتداء، وكذا قوله: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ والخبر محذوف؛ لدلالة ما تقدم عليه، والتقدير: قل قتالٌ فيه كبيرٌ، وصدٌّ عن سبيل الله كبيرٌ، وكفرٌ به كبيرٌ»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد].

فالخبر محذوف في قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾؛ أي: وظلها دائمٌ[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ﴾ [الطَّلاق: ٤].

فقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ﴾.

---

(١) ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل ١/ ١٩٤.
(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٨/ ٢٥٦.
(٣) تفسير الرازي ١/ ٨٧٩.
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٧٤٧، الكشاف ٢/ ٥٠١، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣/ ٢٢٣.

قال أبو حيان: «قدروا خبره جملة من جنس خبر الأول؛ أي: عدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر: مثل أولئك، أو كذلك، فيكون المقدر مفرداً»[١].

ومن الأمثلة:

حذف الخبر إذا كان في مقابلة المبتدأ.

ـ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الرعد: ٣٣].

فقوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ موصولة مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [فاطر: ٨].

والتقدير: كمن هداه الله[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾ [هود: ١٧].

حَذَفَ هنا المعادِل الذي دَخَلَت عليه الهمزة.

قال أبو حيان: «وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة، والتقدير: كمن يريد الحياة الدنيا، وكثيراً ما حذف في القرآن»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزُّمر: ٩].

والتقدير: كمن ليس كذلك.

قال العكبري: «وحذف الخبر لدلالة قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ﴾»[٥].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٨٠.
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٣٣١، البرهان ١/ ٤٦.
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/ ٥٩٥٥.
(٤) البحر المحيط ٥/ ٢١١.
(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٠٩.

ـ وحذف في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزُّمر: ٢٢].

وتقديره: كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة[١].

ـ وكذا في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزُّمر].

قال العكبري: «﴿أَفَمَنْ﴾: مُبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: كمن نجا»[٢].

وبعد تأمل هذه المواضع من حذف الخبر في كتاب الله تعالى؛ نجد حِكَماً ولطائف من هذا الحذف، ومنها:

ـ أنه إذا دل دليل على الخبر استُغنِي عن ذكره للاختصار مع كمال المعنى.

ـ يحسُن حذفُ الخبرِ إذا كان في مقابلة المبتدأ لوجودِ الدلالة عليه، مع جمال التعبير.

ـ من أدلة حذف الخبر أنه ذُكِر في مواضع أُخرى من كتاب الله.

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ﴾ [النحل: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله جل وعلا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤].

فإثبات الخبر في هذه الآيات دليل على الحذف في المواضع الأخرى.

ـ أن الحذف الذي في مَحلِّه بلاغةٌ تؤدي إلى جمال السياق ومتعة القارئ.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣٨٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١١٠.

ـ أن التعليل للحذف بكثرة الاستعمال، وعلم المخاطب بالمحذوف هما أهم المسوغات لبلاغة هذا الأسلوب وحسن استعماله.

وفي مواضعَ كثيرةٍ احتَمَالُ حذف المبتدأ أو الخبر في جملة واحدة.

ومن ذلك:

إذا جاء الحذف بعد الفاء.

ـ كقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فيجوز كون التقدير على حذف الخبر: فعليه عدةٌ.

ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: فالواجب عدةٌ.

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مرفوع على خبر الابتداء، تقديره: فالحكم أو فالواجب عدةٌ، ويصح أن يرتفع على ابتداء، والخبر بعده، والتقدير: فعدة أمثل له، ويصح: فعليه عدة»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ارتفاع: اتباعٌ، على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فالأمر، أو الحكم، أو الواجب[(٢)]، ويجوز أن يكون مبتدأً محذوف الخبر تقديره: فعلى الولي اتباع القاتل بالدية[(٣)].

ومن الأمثلة:

إذا كان الحذف بعد اسم الإشارة فيجوز التقدير على حذف المبتدأ أو الخبر.

ـ كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

---

(١) المحرر الوجيز ١/٢٣٨.
(٢) ينظر: الكشاف ١/٢٤٨، المحرر الوجيز ١/٢٣٣.
(٣) ينظر: البحر المحيط ٢/١٦.

يجوز التقدير: الأمر ذلك[١]، أو التقدير: ذلك الأمر[٢].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ [ص].

يجوز التقدير: الأمر هذا، ويجوز: هذا للمؤمنين[٣].

قال الزركشي في دليل الحذف: «ويدل على هذا المعنى: دخول الواو بعد قوله ذلك وهذا؛ لأن ما بعد الواو يكون معطوفاً على ما قبله بها وإن كان مضمراً»[٤].

ومن الأمثلة:

إذا كان صدر الجملة مصدراً مرفوعاً.

ـ كقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ [يوسف: ١٨].

يجوز التقدير: فأمري صبر جميل، أو فصبرٌ جميل أمثل من غيره[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور: ٥٣].

فيجوز التقدير: طاعةٌ أولى، ويجوز: المطلوب طاعةٌ[٦].

قال ابن جزي: «طاعةٌ معروفةٌ: مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعةٌ معروفة لا يشك فيها»[٧].

وقد اجتمع حذف المبتدأ والخبر في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات].

فسلامٌ: مبتدأ والخبر محذوف؛ أي: سلامٌ عليكم[٨]، وقومٌ: خبر لمبتدأ

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٩٤٦.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٩٠.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٥١، البحر المحيط ٧/ ٣٨٨.
(٤) البرهان ٤/ ٣١٥.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ١٥/ ٥٨٤، المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢، البرهان ٣/ ١٤٢.
(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ٢٥٥. (٧) التسهيل ٢/ ٢٦٩.
(٨) ينظر: المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٠٥.

محذوف، تقديره: أنتم قومٌ[١].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة[٢].

وفي الحذف اختصارُ العبارة، وتباعدٌ عن الحشو، وهذا من كمال الفصاحة والبلاغة لكتاب الله العظيم، ومن أسرار تأثيره على القارئ والمستمع.

كما أن في مواضع احتمال حذف المبتدأ أو الخبر تكثير المعاني مع إيجاز المباني، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: البحر المحيط ٨/ ١٣٧.

(٢) ينظر للاستزادة: البرهان ٣/ ١٣٥ ـ ١٤٣، دراسات لأسلوب القرآن ٨/ ٢٥٦.

المبحث الثاني

حذف الفعل أو المفعول به

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حذف الفعل.**
- **المطلب الثاني: حذف المفعول به.**

المطلب الأول

حذف الفعل

من عادة القرآن حذف الفعل في مواضع كثيرة، حتى صار الإضمار بمنزلة الإظهار في جُلِّها، وإذا دل على الحذف دليل لفظاً أو معنى جاء الاكتفاء بما يدل على المعنى.

ومن المواضع التي يُحذَف فيها الفعل:

إذا كان الفعل مفَسَّراً بما بعد الفاعل، ويكثر بعد: إذا، وإنْ.

ـ كقول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير].

التقدير: إذا كُوِّرت الشمسُ.

قال السمين: «في ارتفاع الشمس وجهان، أصحهما: أنها مرفوعة بفعل مقدر مبني للمفعول، حُذِف وفسره ما بعده»(١).

ـ وقوله جل وعلا: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق]، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرَّحمٰن].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر: ٢٤].

(١) الدر المصون ١٠/ ٦٩٩.

فقوله: بشراً، نُصِب بإضمار فعل يدل عليه قوله: ﴿نَتَّبِعُهُۥٓ﴾[١].

قال الزمخشري: «﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ نُصب بفعل مضمر يفسره ﴿نَتَّبِعُهُۥٓ﴾ وقرئ: (أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِدٌ) على الابتداء[٢]، ونتبعه: خبره، والأوّل أوجه للاستفهام»[٣].

ـ وقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

قوله: ﴿طَآئِفَتَانِ﴾ ارتفع بفعلٍ تقديره: اقتتل، دل عليه الظاهر.

قال العكبري: «﴿طَآئِفَتَانِ﴾: فاعل فعل محذوف»[٤].

ـ وكذا قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فقوله: أحدٌ، فاعل لفعل مضمر يدل عليه الظاهر؛ أي: وإن استجارك أحدٌ[٥].

قال الزمخشري: «مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء؛ لأن [إِنْ] من عوامل الفعل لا تدخل على غيره»[٦].

ومن الأمثلة:

حذف الفعل إذا كان جواباً لسؤال.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

والتقدير: ليقولن خلقهن اللهُ.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٩٤.
(٢) من قراءة أبي السمال، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٩٧.
(٣) الكشاف ٤/ ٤٣٧.
(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٧١.
(٥) ينظر: تفسير النسفي ٢/ ٧٩.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٣٦.

بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت].

التقدير: ليقولن أنزله الله[١].

فيقدَّر في كل سؤالٍ ما يناسبه في الجواب.

يدل على هذا التقدير إظهاره في بعض المواضع من القرآن.

كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزُّخرف].

وفي ذكر الفعل في هذا الموضع فوائدُ منها:

١ ـ التوكيد.

٢ ـ عدم النص في الجواب، فيحتمل الابتداء والاستئناف، ويحتمل الجواب.

قال أبو حيان: «كرر الفعل في الجواب في قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ مبالغة في التوكيد، وفي غير ما سؤال اقتصروا على ذكر اسم الله، إذ هو العلَم الجامع للصفات العلا، وجاء الجواب مطابقاً للسؤال من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ؛ لأن مَن: مبتدأ، فلو طابق في اللفظ، كان بالاسم مبتدأ، ولم يكن بالفعل»[٢].

٣ ـ احتمال كون الجواب من لازم قولهم، لإلزام الحجة عليهم.

قال البيضاوي: «﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ لعله لازم مقولهم، أو ما دل عليه إجمالاً أُقيم مقامَه تقريراً لإلزام الحجة عليهم، فكأنهم قالوا: الله، كما حُكِي عنهم في مواضع أُخَر، وهو الذي من صفته ما سَرَد من الصفات»[٣].

وليس ذلك بلازم، قال أبو حيان: «والظاهر أن: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ نفس المحكي من كلامهم، ولا يدل كونهم ذكروا في مكان خلقهن الله، أن لا يقولوا في سؤال آخر: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾»[٤]، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ٢٠٠.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٨.
(٣) تفسير البيضاوي ٥/ ١٤٠.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٨.

٤ ـ فيه دليلٌ على أن المحذوف في مثلِ هذا السياق فِعْل.

قال السمين: «وفيها دليلٌ على أنَّ الجلالةَ الكريمةَ مِنْ قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ مرفوعةٌ بالفاعلية لا بالابتداء؛ للتصريح بالفعل في نظيرتِها، وهذا الجوابُ مطابق للسؤالِ من حيث المعنى»(١).

ومن الأمثلة:

حذف الفعل إذا دل عليه السياق.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ﴾ [القمر].

والتقدير: فنصرناه ففتحنا أبواب السماء؛ لأن ما ظهر من الكلام يدل على المحذوف.

ـ وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

والتقدير: فماتوا ثم أحياهم؛ لأنه لا يصح عطف الماضي على فعل الأمر(٢).

قال العكبري: «معطوف على فعل محذوف، تقديره: فماتوا ثم أحياهم»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أي: فأفطر فعدة من أيام أخر(٤)، وهذا أمر واضح على القول الصحيح(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء]؛ أي: فضربه فانفلق(٦)، دل على ذلك العقل والسياق.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٥٧٥.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٢٠٤.
(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٩٣.
(٤) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٦.
(٥) خلافاً لأهل الظاهر الذين أوجبوا الفطر على المسافر أخذاً بالظاهر، ينظر: المحلى ٦/ ٢٤٣.
(٦) ينظر: النكت والعيون ٤/ ١٧٤، تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠.

ومن الأمثلة:

حذف القول وهو كثيرٌ لدلالة السياق عليه.

ـ كقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران].

أي: فيقال لهم: أكفرتم؛ لأن [أَمَّا] لا بد لها في الخبر من فاء[(١)]، ولكن بإضمار القول تُضمَر الفاء معه.

قال أبو حيان: «والتقدير: فيقال لهم: أكفرتم؟ كما حذف القول في مواضع كثيرة»[(٢)].

وقال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف، تقديره: فيقال لهم: أكفرتم؟ وفي هذا المحذوف هو جواب أمَّا، وهذا هو فحوى الخطاب، وهو أن يكون في الكلام شيء مقدر لا يستغني المعنى عنه»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر: ٣].

أي: يقولون ما نعبدهم ليقربونا إلى الله.

قال ابن جزي: «﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ هذه الجملة في موضع معمولِ قولٍ محذوف»[(٤)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة].

أي: وقلنا خذوا[(٥)].

قال الطبري: «العرب من شأنها ـ إذا عرفَتْ مكان الكلمة ولم تشكّ أن سامعها يعرف، بما أظهرت من منطقها، ما حذفت ـ حذفُ ما كفى منه الظاهر

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ١٧٨.
(٢) البحر المحيط ٣/ ٢٦.
(٣) المحرر الوجيز ١/ ٥١٠.
(٤) التسهيل ٢/ ٤٦٠.
(٥) ينظر: البرهان ٣/ ١٩٦.

من منطقها، ولا سيما! إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت، قولاً أو تأويلَ قولٍ»[١].

إلى غير ذلك من الأمثلة في حذف الفعل، ومن فوائد هذا الحذف:

ـ أن في حذف الفعل كما مرَّ في بعض المواضع: الإخبار عنه مرتين دون تَكرار له، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار]، فالمعنى: انفطرت السماء انفطرت.

ـ أن الاختصار في محلِّه أفضل من الإطالة، ووجودُ دليلٍ على الفعل المحذوف يُغني عن ذكره، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل من عادات القرآن.

ـ يُستَدل على حذف الفعل بذكره في موضع آخر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت]، وذُكر في قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزُّخرف].

ـ أن في الحذفِ فوائد لا يؤديها الذكر، ومن ذلك: النص على المراد، ومطابقته باللفظ عند الجواب على السؤال، وكذلك الحصر.

قال الزركشي: «وأما المعنى فلا شك أنه يختلف، فإنه إذا قيل: من جاء؟ فقلت: جاء زيد، احتمل أن يكون جواباً، وأن يكون كلاماً مبتدأً، ولو قلت: زيد، كان نصاً في أنه جواب، وفي العموم الذي دلت عليه مَن، وكأنك قلت: الذي جاء زيد، فيفيد الحصر، وهاتان الفائدتان إنما حصلتا من الحذف»[٢].

ـ أن الأكثرَ حذفُ الفعل في جواب السؤال، وعلى هذا فيُبحث عند ذكر الفعل عن سرّ في كل موضع.

ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس] جاء الجواب بذكر الفعل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ

(١) تفسير الطبري ١/ ١٤٠.
(٢) البرهان ٤/ ٤٨.

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس]، ولعله ـ والله أعلم ـ للتأكيد على ما أنكروه من البعث[١].

ـ أن الاشتغال بذكر المحذوف يُفضِي إلى تفويت المُهِم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [الشمس]، فقوله: ناقةَ الله تحذير، والتقدير: ذروا، وسقياها إغراء، والتقدير: الزموا[٢]، فحذف الفعلين اعتناء بالأهم، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

حذف المفعول به

من عادات القرآن حذف المفعول، وهو كثير في القرآن، والأصل لجواز الحذف أمن اللبس الذي يؤَكَّدُ عليه في كل باب من أبواب الحذف.

قال ابن مالك:

وحذفُ ما يُعلم جائزٌ[٣]، . . . . . .

فعادة القرآن حذف المفعول إذا كان الغرض من السياق الفعل لا المفعول.

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

حُذِف من هذه الآية خمسةُ مفاعيل؛ لوضوحها، ولأنها غير مرادة، وتقديرها: [يسقون مواشيهم]، [تذودان مواشيهما]، [لا نسقي مواشينا]، [يُصْدِر الرعاءُ مواشيهم]، [فسقى لهما مواشيهما].

ففي الآية إعراض عما ليس بمقصود؛ لأن الغرض أن يُعلم أنه كان من

---

(١) ينظر: البرهان ٤/٤٨، ٤٩.
(٢) ينظر: الإتقان ٢/١٢٣.
(٣) ألفية ابن مالك ١٨.

الناس سَقْي، ومِن الامرأتين ذَوْد، وأنهما قالتا لا يكون منا سقْي حتى يُصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك السَّقْي، وأما كون المسْقِي غنماً أو إبلاً أو غيرَ ذلك فخارج عن المقصود، ولا يترتب عليه عمل[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧].

لم يُذكَر مفعول ﴿يُبْصِرُونَ﴾؛ لأن المقصود نفي الإبصار عنهم لا متعَلَّقُه[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

حُذِف المفعول لأنه لم يُرَد الأكلُ من معين، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢].

المراد أن إلههم لا يسمع ولا يبصر.

قال أبو حيان: «معمول: ﴿يَسْمَعُ﴾ و﴿يُبْصِرُ﴾ منسي ولا ينوى؛ أي: ما ليس به استماع ولا إبصار؛ لأن المقصود نفي هاتين الصفتين، دون تقييد بمتعلق»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨].

حُذِف هنا مفعول ﴿يَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾﴾؛ لأن المقصود نفي نسبة العلم إليهم، لا نفي علمهم بشيء مخصوص، فكأنه قيل: وقال الذين ليسوا ممن لهم سجية في العلم لفرط غباوتهم[٥].

ومن الأمثلة:

حذف المفعول إذا أُريد بالفعل العموم.

ـ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩].

حُذف المفعول ليدل ـ والله أعلم ـ على العلم العام المثمِرِ للعَمَل،

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ١٧٧.
(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢١٦.
(٣) ينظر: البرهان ٣/ ١٧٦.
(٤) البحر المحيط ٦/ ١٨٢.
(٥) ينظر: البحر المحيط ١/ ٥٣٦.

بدلالة سياق الآية، حيث أثنى فيها على القانت آناء الليل وهو عَمَلٌ بما علِمَه، بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمر].

قال ابن قتيبة: «وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزُّمر: ٩]، ولم يذكر ضِدَّ هذا؛ لأن في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩]، دليلاً على ما أراد»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فلم يُذكَر المفعول ليدل على العموم، ولو ذُكِر لنَقَص المعنى، فالمراد: أن الله تعالى وحده له الإحياء والإماتة[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النَّجم].

حُذف هنا أربعة مفاعيل؛ لأنها مسوقة لبيان قدرة الله فلا حاجة للمفعول، بل المراد العموم.

قال الرازي: «﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ لا مفعول لهما في هذا الموضع؛ لأنهما مسوقتان لقدرة الله لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول.

يقول القائل: فلان بيده الأخذ والعطاء، يعطي ويمنع، ولا يريد ممنوعاً ومُعطَى»[(٣)].

وقال البيضاوي: «لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره»[(٤)].

ومن الأمثلة:

حذف المفعول في رؤوس الآي.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٣٦، ١٣٧.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ١٧٦.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨٠.
(٤) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦٠.

أي: كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله، أو نبي مرسل[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

مفعول: ﴿يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ محذوف، تقديره: نعمَه.

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

فلم يُذكر متعلق: ﴿تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال الزمخشري: «ويجوز أن يقدر: وأنتم تعلمون أنه لا يماثَل، أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۗ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص].

لم يذكر المتعلق لإفادة العموم.

ـ وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضُّحى].

فالتقدير: قلاك، ولكن حذف المفعول مراعاة للفاصلة، واختصاراً، وتكريماً، ولظهور المحذوف قبله[٣]، إذ يُعلم أن المحذوف ضمير المخاطب، وهو رسول الله ﷺ.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضُّحى].

فحذف الضمير المنصوب، لمراعاة الفاصلة، والاختصار، وإفادة معنى أوسع، فيقدر: هداك وهدى بك.

قال ابن عثيمين: «ولم يأت التعبير ـ والله أعلم ـ فهداك؛ ليكون أشمل

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ١/ ٣٧٠. (٢) الكشاف ١/ ١٢٧.
(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٩٢، البرهان ٣/ ١٦٧.

وأوسع، فهو قد هُدِي عليه الصلاة والسلام، وهَدَى الله به، فهو هاد مهدي عليه الصلاة والسلام، إذاً ﴿فَهَدَى﴾؛ أي: فهداك وهدى بك»[١].

ومن الأمثلة:

حذف المفعول إذا كان معلوماً من السياق.

ـ كما في قوله جل وعلا: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١].

حذف مفعول سبح للعلم به من سياق الآية؛ أي: وسبح ربكَ.

ـ وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة].

حُذِف مفعول: ﴿يَجِدْ﴾ ومفعول: ﴿يَسْتَطِعْ﴾ للعلم به من سياق الآية، فالمراد: فمن لم يجد الرقبة، ومن لم يستطع الصيام.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أي: والحافظات فروجهن، والذاكرات الله كثيراً.

قال العكبري: «وأغنى المفعول الأول عن الإعادة»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران].

حُذفت متعلقات هذه الأوصاف للعلم بها، فالمعنى: الصابرين على تكاليف ربهم، والصادقين في أقوالهم، والقانتين لربهم، والمنفقين أموالهم في طاعته، والمستغفرين الله لذنوبهم في الأسحار[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص].

---

(١) تفسير جزء عم ٢٣٧.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٥٧.
(٣) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٤١٨.

مفعولا ﴿تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ محذوفان، أحدهما العائد على الموصول، والتقدير: تزعمونهم شركاء[١]، والمحذوف في حكم المنطوق به؛ فالدلالة عليه من وجهين: اقتضاء الفعل له، واقتضاء الصلة إذا كان العائد[٢].

قال السمين: «فحذف المفعولان معاً ثقة بدلالة الكلام عليهما»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

أي: فاسْتَغْفَروه، فالمفعول محذوف لفهم المعنى[٤].

ومن الأمثلة:

حذف مفعول شاء وأراد.

وإذا حذف بعد [لَوْ] فهو المذكور في جوابها دائماً[٥].

ـ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

مفعول شاء محذوف، تقديره: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بسمعهم وأبصارهم.

قال الزمخشري: «ومفعول شاء محذوف؛ لأن الجواب يدل عليه، والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب»[٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قال أبو حيان: «ومفعول: شاء محذوف؛ لدلالة الجواب عليه، التقدير: ولو شاء الله إعناتكم»[٧].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ٦/ ٢١٧، تفسير البيضاوي ٤/ ٣٠٠، البحر المحيط ٧/ ١٢٣.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ١٦٣.
(٣) الدر المصون ١١/ ٣٣٣، وينظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٢١.
(٤) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٦٤.
(٥) ينظر: الإتقان ٢/ ١٢٥.
(٦) الكشاف ١/ ١١٩، وينظر: البحر المحيط ١/ ٢٢٦، تفسير أبي السعود ٤/ ١٢٩.
(٧) البحر المحيط ٢/ ١٧٢.

ـ وقوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [فصّلت: ١٤].

مفعول شاء محذوف؛ أي: لو شاء ربنا إرسال الرسل[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل].

مفعول شاء محذوف؛ لِدَلالة: ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: ولو شاء هدايتكم[٢].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل].

مفعول شاء محذوف، يدل عليه الشرط؛ لأن مَن: شرطية؛ أي: فمن شاء أن يتخذ سبيلاً اتخذه إلى ربه[٣].

والأمثلة في كتاب الله تعالى كثيرة جداً[٤].

قال الزركشي: «والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثيلة الجواب؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز اطراد حذف مفعولها؛ كقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصَّف: ٨]، وإنما حذفه؛ لأن في الآية قبلها ما يدل على أنهم أَمِروا الكذب[٥]؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله، فلو ذكر أيضاً لكان كالمتكرر؛ فحُذِف وفسِّر بقوله: ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب»[٦].

ويستثنى من هذه العادة إذا كان مفعول الإرادة عظيماً أو دعا إليه السياق فإنه لا يحذف، ومثاله:

ـ قول الله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزُّمر].

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ١٩٧.
(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٤٦٣.
(٣) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٥٨.
(٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٩/ ١٥٩.
(٥) أَمِروا: أي: أكثروا، معجم مقاييس اللغة ١/ ١٣٨.
(٦) البرهان ٣/ ١٦٨، ١٦٩، وينظر: الإتقان ٢/ ١٢٥.

في الآية رد على الكفار في قولهم: اتخذ الله ولداً بما يطابقه في اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد، ولو حذفه فقال: [لو أراد الله لاصطفى] لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبني، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء].

فذكر المفعول هنا لعود الضمير عليه، فلو حُذف لم يكن للضمير ما يعود عليه[٢]، وهذا التعليل هو ما رجحه أبو حيان[٣].

والمتأمل في مواضع الحذف للمفعول به في القرآن يجدُ إعجازاً عظيماً، ومتعةً تقوده إلى جمالية اللغة وأساليبها.

ومن الحِكم في حذف المفعول به:

ـ أن المفعول به ليس عمدة في الكلام، ولذلك ساغ حذفه عند أمن اللبس.

قال ابن مالك:

وحَذفَ فَضْلَةٍ أَجِزْ إن لم يَضِر[٤] . . . . . .

أن حَذْف المفعول يُفيد التعميم مع الاختصار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس].

لم يُذكر في هذه الآية مفعول يدعو؛ لإفادة العموم.

قال الزركشي: «أي: كل أحد؛ لأن الدعوة عامة، والهداية خاصة»[٥].

ويكثر هذا التعميم في رؤوس الآي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

(١) ينظر: الكشاف ١/ ١١٩، البرهان ٣/ ١٧٠.

(٢) ينظر: البرهان ٣/ ١٧١.

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٢٦، وقال البعض: سبب الذكر غرابة مفعول الإرادة. ينظر: البرهان ٣/ ١٧١.

(٤) ألفية ابن مالك ٢٩.

(٥) البرهان ٣/ ١٦٥، وينظر: تفسير أبي السعود ٤/ ١٣٧، تفسير السعدي ٣٦٢.

ـ إذا كان المراد إثبات المعنى الذي دل عليه الفعل دون المتعلق، فلا يُحتاج إلى ذكر المفعول؛ لأنه غير مقصود، أو لا يترتب عليه عمل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ [الأعراف: ٣١].

ـ أن في حذف المفعول به إيثار الاختصار عند قيام القرينة، وعدم التكرار.

كسبقِ ما يدل على المفعول، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد]؛ أي: ويثبت ما يشاء.

وكذا رعاية الفواصل عند وضوح المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ [الأعلى]؛ أي: يخشى الله.

ـ ومن فوائد حذف المفعول: البيان بعد الإبهام، كما في مفعول المشيئة والإرادة، لتمام المعنى، ووضوحه، والبيان بعد الإبهام أوقع في النفس، والله تعالى أعلم.

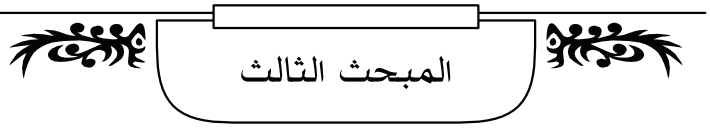

حذف الصفة أو الموصوف

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حذف الصفة.**
- **المطلب الثاني: حذف الموصوف.**

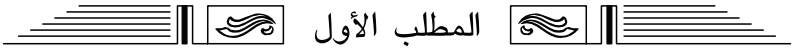

حذف الصفة

الصفة: هي التابع الذي يكمل متبوعه؛ بدلالته على معنىً فيه، أو فيما يتعلق به[(١)].

وقد حُذفت الصفة في القرآن لمَّا قام الدليلُ عليها.

قال ابن مالك:

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقِلْيَ جُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلّ[(٢)]

وهذه قاعدة معروفة تقدمت في حذف المبتدأ، وحذفُ ما يعلم جائز، وهي في الحقيقة ضابط من ضوابط النحو، والمراد هنا: أن الذي عُلِم من المنعوت والنعت يجوز حذفه[(٣)].

قال الطبري: «كل كلام نُطِق به ـ مفهوم به معنى ما أُريد ـ ففيه الكفاية من غيره»[(٤)].

---

(١) ينظر: التعريفات ١٣٣، الكليات ١٥١٥، ضياء السالك ٣/ ١٢٩، وتسمى: النعت، والوصف.

(٢) ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل ٢/ ١٧٧ بيت (٥١٩).

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٤٥، ١٤٦، شرح ابن عقيل على الألفية ٢/ ١٧٧.

(٤) تفسير الطبري ٢/ ١٦٠.

وقال الزركشي في حذف الصفة: «وأكثر ما يرِدُ للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأنّ التنكير حينئذ عَلَم عليه؛ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف]؛ أي: وزناً نافعاً»(١).

فَتُحذَف الصفة في القرآن إذا دلَّ عليها دليل من سياق الآية.

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف: ٧٩].

أي: سفينةٍ صالحةٍ، وهذا التقدير يقتضيه السياق اللفظي؛ لأن عموم قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ يقتضي أخذَ الملكِ للمعيبةِ والصحيحة معاً(٢)؛ فلا فائدة في خرق السفينة، فتقديرُ الصفةِ إيضاحٌ للغاية من خرقها، فالخَضِر أراد أن يعِيبَها ليجعلَها غير صالحة في نظر الملِك، ولم يُرِد إخراجَها عن كونها سفينة، فعُلِم من السياق أن هناك حذفاً.

وقد قُرئ في غير المتواتر: (**وَكَانَ أَمَامَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً**)(٣).

وفيها دليل على الصفة المحذوفة.

قال الطبري: «لأن وراءهم ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً؟ قيل: إن معنى ذلك، أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً، ويدع منها كلّ معيبة، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها، فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فأبان بذلك أنه إنما عابها؛ لأن المعيبة منها لا يعرِض لها، فاكتفى بذلك من أن يقال: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك»(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾ [قريش].

---

(١) البرهان ٣/ ١٥٥.
(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب ١٤٥.
(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٨/ ٨٤، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٧، النشر ١/ ١٤، الإتقان ١/ ١٦٧.
(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٨٤.

أي: جوعٍ شديدٍ، وخوفٍ عظيمٍ[١]، وفي هذا كمال نعمة الله عليهم؛ والآية في سياق الامتنان عليهم.

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

أي: لستم على شيءٍ نافعٍ[٢].

قال ابن عطية: «﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: على شيءٍ مستقيمٍ»[٣].

وقال البقاعي: «﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: سارّ، أو يعتد به من دنيا ولا آخرة»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص].

أي: وشرابٍ كثيرٍ؛ بدليل ما قبله.

قال الرازي: «والتقدير: بفاكهة كثيرة، وشراب كثير»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزُّخرف: ٤٨]؛ أي: أكبر من أختها السابقة[٦].

قال ابن جزي: «فالمراد: أكبر من أختِها المتقدمة عليها»[٧].

وقوله: أختها؛ أي: التي مثلها.

قال الزمخشري: «وهذه صفةُ كل واحدة منها؛ فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء، واحدةً بعد واحدة»[٨].

ومن الأمثلة:

حذف الصفة إذا دل عليها العرف أو العقل[٩].

ـ كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا﴾ [البقرة: ٧١].

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥.
(٢) ينظر: مغني اللبيب ٥٩٠، الجدول في إعراب القرآن ٢٥/ ٩٤.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٢٥٥.
(٤) نظم الدرر ٢/ ٥٠٧.
(٥) تفسير الرازي ٢٦/ ١٩١.
(٦) ينظر: مغني اللبيب ٥٩٠.
(٧) التسهيل ٣/ ٢٢.
(٨) الكشاف ٤/ ٢٥٨.
(٩) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٦.

أي: الحق الواضح، وإلا كان مفهومه كفراً[١]؛ لأنه يدل على أنهم اعتقدوا فيما تقدم من الأوامر أنها ما كانت حقّاً، وليس كذلك بل المراد: الآن اتضحت حقيقة ما أُمرنا على تقدير الصفة فلا يكون كفراً[٢].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

والمراد: ليس من أهلك الناجين[٣]، فحُذِف الوصف لكونه معروفاً ضمناً، فهو ابنه من النسب حيث نادى فقال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود].

وعن ابن عباس ﷺ قال: «ما بغت امرأة نبي قط وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾ يقول: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك»[٤].

قال السمرقندي: «إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف]؛ أي: وزناً نافعاً[٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

والذي لا يموت يحيا، والذي لا يحيا يموت، ولكن المعنى: لا يحيا حياةً طيبةً يُعتَد بها، ولا يموت موتاً مريحاً، فكأن الإحياء للعذاب ليس بحياة معتدٍّ بها[٧].

ـ وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ٥٩١.
(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢/ ١٧٣.
(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٩٩، البرهان ٣/ ١٥٦.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٣٤٣، وينظر: الدر المنثور ٨/ ٧٧.
(٥) تفسير السمرقندي ٢/ ١٥٣.
(٦) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥، الإتقان ٢/ ١٣٥، روح المعاني ٣٠/ ٢٢٢.
(٧) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٢٤٤.

فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

فالمراد: الناس الذين يعادونكم[1]؛ لأنه لا يُتَصوَّر أن المراد به كل الناس، وإنما هو مخصوص بأتباع الشيطان، بدلالة الإشارة إليه في الآية التالية حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام].

أي: قومك المعاندون[2]، فالواقع أن من القوم من صدق به، فلا بد من تقييد القوم المكذبين بصفة معلومة.

وبعد تأمل مواضع حذف الصفة في القرآن تبين لي ما يأتي:

١ ـ أن حذف الصفة لا يكون إلا في صفة تقدمها ما يدل عليها، أو تأخَرَ عنها، أو فُهم ذلك من دليل خارجٍ عنها.

٢ ـ أن حَذْف الصفةِ وإقامة الموصوف مقامَها أقلُّ استعمالاً من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ لأن الصفة إذا حُذفت لا تُعلم إلا بدليل بخلاف حذف الموصوف فإنه يُعرف بمجرد الصفة.

٣ ـ أن الصفة تُحذَف للتفخيم والتعظيم، والمدحِ والثناء، كما تقول: كان والله رجلاً؛ أي: رجلاً فاضلاً أو كريماً أو شجاعاً أو نحوها من الصفات، وتقول: زرته فوجدته إنساناً؛ أي: إنساناً عظيماً أو سمحاً أو ما أشبهه، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾ [النساء: ٧٩]؛ أي: رسولاً كاملَ الصفات، وهذا واضح من دلالة الحال، وعليه فلو خَلَت الصفة من دلالة اللفظ أو الحال فإن حذفها لا يجوز.

٤ ـ أن هذا الباب فيه من اللطائف المعنوية ما لا يمكن التعبيرُ عنها بالألفاظ، فتشحذُ أذهان العلماء للبحث والتأمل، ليجدوا الإعجازَ بالإيجاز

(١) ينظر: البرهان ٣/١٥٦.
(٢) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٤٤.

وكمال المعاني، فما أجمل هذه اللغة، وما أحسن أساليبها، وسبحان من أنزل كلامه بلسان عربي مبين.

٥ ـ أن القرآن كلام جامع مانع، بيَّن الله تعالى في كتابه وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولم يذكر صفاتها، بل بيَّنها النبي ﷺ بياناً شافياً كافياً، قال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وهذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه[(١)].

وكما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

المراد: فمن شهد منكم الشهر مسلماً مكلفاً قادراً مقيماً فليصمه.

كل هذه الصفات لمَّا دل عليها الإجماع والسُّنَّة، جاز حذفها.

قال الزمخشري: «﴿فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ والمعنى: فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه؛ يعني: فمن كان منكم مقيماً حاضراً لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه»[(٢)].

فمِن بلاغة القرآن: الإيجازُ مع الإفهام، والتقت ببلاغة الرسول ﷺ؛ فاكتمل البيان.

قال الطبري: «إنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره ـ واجبه ونَدْبِه وإرْشاده ـ وصنوفِ نَهيه، ووظائفِ حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه..»[(٣)].

وقال القرطبي: «فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان»[(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ٧٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٤.
(٣) تفسير الطبري ١/ ٧٤.
(٤) تفسير القرطبي ١/ ٧٧.

المطلب الثاني

حذف الموصوف

حذف الموصوف كثير في القرآن، وكذا في لغة العرب؛ لأن الموصوف يُعرَف غالباً بذكر الصفة، أما الصفة فإذا حُذفت لم تُعلم إلا بدليل، ولهذا كان حذف الصفة أقل[(١)]، فالمراد منها بيان الموصوف.

قال ابن هشام: «ويجوز بكثرةٍ حذفُ المنعوت إن عُلِم، وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل نحو: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١]»[(٢)].

ولا يُحذَف الموصوف إلا إذا كانت الصفة خاصة بالموصوف[(٣)]؛ حتى يحصل العلم بالموصوف.

وأمثلة حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه كثيرة في القرآن، ومنها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

أي: وآتينا ثمود الناقة آيةً مبصرةً.

فإنه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، وإنما أُريد آية مبصرة فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، بدليل آخر الآية: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان].

أي: وجنة دانية[(٤)].

ـ وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣].

فالكاف صفةٌ لمحذوف؛ أي: آمنوا إيماناً مثل إيمان الناس.

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ٢/ ١٧٨.
(٢) أوضح المسالك ٣/ ١٤٥ بتصرف.
(٣) ينظر: الدر المصون ١/ ١٤١، البرهان ٣/ ١٥٤.
(٤) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥.

أي: أنؤمن إيماناً كإيمان السفهاء[١].

قال العكبري: «﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، الكاف في موضع نصب صفةٌ لمصدرٍ محذوف؛ أي: إيماناً مثل إيمان الناس، ومثله: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾»[٢].

فحُذِف الموصوف فيها وأقيمت الكاف التي هي صفته مقامه.

وعلى هذا أكثر ما جاء في القرآن من قوله: ﴿كَمَآ﴾[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ [القصص: ٦٣].

قال الزمخشري: «[كَمَا] الكاف صفة مصدر محذوف، تقديره: أغويناهم، فغووا غياً مثل ما غوينا»[٤].

ومثله قال الرازي[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة].

قال النحاس: «﴿كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر؛ أي: سؤالاً كما سئل موسى»[٦].

ومثله قال العكبري[٧].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣﴾ [القمر].

أي: سفينة ذات ألواح[٨].

ـ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ [الواقعة].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٩٠.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٠، ينظر: تفسير النسفي ١/ ١٩.
(٣) ينظر: إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/ ١٥٧.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٣٠.
(٥) تفسير الرازي ٢٥/ ٧.
(٦) إعراب القرآن ١/ ٢٥٥.
(٧) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٠٤.
(٨) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥.

أي: حق العلم اليقين.

قال الفراء: «﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق: ٩]، والحب هو الحصيد، وهو مما أضيف إلى نفسه، مثل قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة]، ومثله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦]»[١].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق].

التقدير: حبَّ النبت الحصيد، وهو كل ما يحصد[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصَّافات].

أي: حور قاصرات[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦].

قيل المراد: النساء الخبيثات للرجال الخبيثين.

قال ابن تيمية: «النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والنساء الطيبات للرجال الطيبين»[٤].

وقال أبو حيان: «والظاهر أن ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ وصف للنساء، وكذلك ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ أي: النساء الخبيثات للرجال الخبيثين ويرجحه مقابلته بالذكور»[٥].

وقيل: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، وهو قول أكثر المفسرين[٦]، ورجحه الطبري[٧]،

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٧٦.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٦.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ٥٨٩، البرهان ٣/ ١٥٥.
(٤) جامع المسائل ٤/ ١٤٢، مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٢٢.
(٥) البحر المحيط ٦/ ٤٠٥، وينظر: التسهيل ٢/ ٢٥٥.
(٦) ينظر: تفسير البغوي ٦/ ٢٨، الكشاف ٣/ ٢٢٩، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١١.
(٧) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٤.

والنحاس[١].

وعلى كلا القولين فالموصوف محذوف والخلاف في تقديره.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة].

أي: دين الملة القيِّمة[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣].

أي: العبد الشكور[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝١١﴾ [سبأ].

أي: دروعاً سابغاتٍ[٤].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ﴾ [يوسف: ١٠٩].

على تقدير: ولدار الساعةِ الآخرةِ، فتكون الآخرة صفة للساعة المضمرة، وليست الدار مضافةً إلى الآخرة؛ لأن الشيء لا يضاف إلى صفته[٥].

قال الزمخشري: «ولدار الساعةِ، أو الحالِ الآخرةِ»[٦]، ومثله قال الرازي[٧].

وقال السمين: «قولُ البصريين وهو أنه من باب حَذْف الموصوف وإقامةِ الصفةِ مُقامه، والتقدير: ولَدارُ الساعةِ الآخرة، أو لدار الحياة الآخرة، يدلُّ عليه: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»[٨].

---

(١) معاني القرآن ٤/ ٥١٥.
(٢) ينظر: مغني اللبيب ٥٨٩، البرهان ٣/ ١٥٥.
(٣) ينظر: البرهان ٣/ ١٥٥.
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٥٢٤، مغني اللبيب ٥٨٩، الإتقان ٢/ ١٣٤.
(٥) ينظر: أوضح المسالك ٢/ ٣٠٣، تفسير النسفي ١/ ٣٢٠.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٠.
(٧) ينظر: تفسير الرازي ١٢/ ١٦٧.
(٨) الدر المصون ٤/ ٦٠٠.

ومن الأمثلة في حذف الموصوف:

ـ جميع ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥].

فالتقدير: وعملوا الأعمال الصالحات(١).

قال الألوسي: «﴿ءَامَنُواْ﴾ بما وجب الإيمان به، ﴿وَعَمِلُواْ﴾ الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الوجه الذي أمروا به»(٢).

ـ كما أن السيئات في قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١].

أي: الخصال السيئات.

وبعد التأمل في كثرة حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ تبين لي:

١ ـ أن أمثلةَ حذف الموصوف في القرآن لا حصر لها؛ مما يدل على أن هذا الحذف معلوم من السياق لأهل العربية، فجُمِع في حذف الموصوف المعلوم: الإيجاز مع تمام المعنى، وهذا هو الإيجاز البليغ.

٢ ـ عناية العلماء بجمع المواضع التي حُذف فيها الموصوف، وإفراد مباحث خاصة بحذف الموصوف.

٣ ـ نُقِل الإجماع على وجوده في القرآن، وفي هذا تأكيد لأهمية دراسة هذا الأسلوب.

قال مكي ـ عن إقامة الصفة مقام الموصوف ـ: «وقد جاء هذا في القرآن بإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [فصّلت: ١٠]، ولم يقل: جِبَالاً رَوَاسِيَ، وقال: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [سبأ: ١١]، ولم يقل: دُرُوعاً سَابِغاتٍ»(٣).

٤ ـ أن من أكثر مواضع حذف الموصوف، إذا كان في سياق النداء وإذا كان الموصوف مصدراً.

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٧٣٤، تفسير ابن كثير ٦/ ٣٣٢.

(٢) روح المعاني ٢/ ٣٧٩.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ٣٣١.